

توابع الفكر العربي

٤٠

حسن العطاري

بقلم  
محمد عبد الغني حسن



دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina



0008759



حسن العطار



# نوابغ الفكر العربي

٤٠

## حسن العطار

بقلم

محمد عبد الغني حسن

« إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ،  
ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها »  
حسن العطار

الطبعة الثانية



دار المعارف



## الفصل الأول

### عصر حسن العطار

#### ١ - الحياة السياسية

ولد الشيخ حسن العطار في أول الثلث الأخير من القرن الثامن عشر سنة ١٧٦٦ م ، أى قبل الحملة الفرنسية على مصر باثنين وثلاثين عاماً . فهو يعطينا بمولده هذا صورة لمصر السياسية في القرن الذي كان نهاية لحكم الولاة العثمانيين في مصر .

والحق أن مصر في القرن الثامن عشر كانت تنتم القرون الثلاثة من الحكم العثماني الذي ساقه القدر إليها على يد السلطان سليم العثماني الذي فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ - سنة ١٥١٧ م . وهي قرون شهدت البلاد فيها من الظلام والجهل والضعف والتأخر في كل الميادين ما لا يمكن أن يصار إلى أسوأ منه . وكانت بداية القرون الثلاثة كنهاتها سوء حال ، وضعف مال . وما ظنكم بتأنيث تركي غاشم . دهم البلاد بخيله ورجله . ثم رأى - بعد أن خرج منها مخلفاً نائبه عليها - أن يسلبها خير ما فيها . فقد روى ابن إياس مؤرخ الحملة العثمانية على مصر أن ابن عثمان - يعنى السلطان سليما - خرج من مصر وصحبته ألف جعل مخرمة ما بين ذهب وفضة ، هذا عدا ما غنمه من التحف والسلاح والصيني والنجاس المكنت والحبول والبغال والجمال وغيرها . ولم يكتف بذلك بل نقل حتى الرخام الفاخر من مساجدها ودورها . وما أكثر تهكم مؤرخنا ابن إياس . وهو يقول عن هذه المنهوبات إنها بما لا فرح به آباء السلطان سليم ولا أجداده من قبله أبداً ! ولم تشبع هذه النفائس المصرية منهم الفائح التاهب . فنقل معه من مصر إلى إستنبول طوائف كثيرة من أرباب الصناعات وأهل البغايا والنساء والتجارين والحدادين والمرخين والمبلطين والخراطين والمهندسين والحجارين والفعلة . . .

وكاد مؤرخنا البحاتة المصرى وتلميذ المؤرخ السيوطى يذكر لنا فى حوادث سنة ٩٢٣ هـ من كتابه « بدائع الزهور : فى وقائع الدهور » أسماء هؤلاء الذين اقتاعهم السلطان سليم من وطنهم ليحيى بهم الفن والصناعة فى وطنه . . .

وإذا كان الولى العثمانى — الذى كان يعينه سلطان تركيا على مصر — هو أحد السلطات الثلاث التى كانت تشترك فى حكم البلاد وإدارتها ، وهى : الولى نفسه . ورؤساء الجند . والأمراء المماليك الذين كانوا يحفظون التوازن بين الولى ورؤساء الجند ؛ فإن هذا النظام الذى أدخله إلى مصر السلطان سليم أو السلطان سليمان القانونى قد تطور فى النصف الثانى من القرن السابع عشر بحكم طبيعة التنافس بين هذه السلطات الثلاث . وانتهى الأمر فى سنة ١٦٧٢ إلى أن استأثر المماليك بالبكوات وحدهم بحكم مصر ، ولم يكن للولى التركى بجانبهم نفوذ ولا سلطان .

ويرى لنا الرحالة فانسليب Vansleb الذى زار مصر فى العقد الثامن من القرن السابع عشر أن عدد حكام مصر من البكوات المماليك فى عصره كان ستة عشر مملوكاً ، وإن كان هذا العدد قد نقص فى القرن الثامن عشر إلى بضعة من البكوات المماليك كما يذكر الرحالة سنونى .

وأيا ما كان عدد البكوات الذين استأثروا بحكم مصر وإدارة شئونها منذ القرن السابع عشر ؛ فإن تصحيحاً يجب أن يذكر هنا بصدد هؤلاء المماليك الذين شاركوا فى حكم مصر أو حكموها مستقلين فى العهد العثمانى . فليس كل هؤلاء البكوات المماليك أحفاداً لرجال دولتى المماليك البحرية والبرجية الذين انتهى إليهم حكم مصر بعد الدولة الأيوبية ؛ وليس هؤلاء البكوات المماليك امتداداً فى النسل والذرية لمماليك الدولتين البحرية والبرجية . نعم إن كثرة منهم كانت فى أول الحكم العثمانى امتداداً وأسلافاً لأولئك المماليك ، ولكنهم بعد ذلك وبمضى الزمن كانوا يجتلبون بوساطة البكوات الأمراء من بلاد الشركس والكرج والقوقاز عن طريق الشراء . ليزداد البكوات عصبية بهم . وكان هؤلاء المجتلبون يصبحون مع الزمن أمراء يتقبلون على سادتهم الذين اشتروهم ويتزعون الساطحان من أيديهم ويحلون محلهم . . .



وحين نعرض تاريخ الجبرتي المسمى «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» نرى أخباراً كثيرة من هذه الانقلابات والثورات التي كان يشهدها هؤلاء الأمراء المماليك بعضهم على بعض حتى يستقيم فم الحكم وحدهم بلا منازعين . . . ومنذ انفرد البكوات المماليك بحكم مصر في العصر التركي دون الولاى العثمانى ورؤساء الجند فإن نفوذ ذلك الولاى لم يعد له قيام . وكان هم الولاى وهو عديم السلطان فى القلعة أن يدس بن أمراء المماليك ويوقع الفتنة بينهم حتى يصعدوا له العيش ولو بعض حين . ومن يحضرنا فى هذا المقام الولاى العثمانى سليمان باشا الشامى الشهير بابن العظم الذى جاء لولاية مصر قبل مولد حسن العطار ببضعة وعشرين عاماً . ويذكر مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي أنه لما استقر فى ولاية مصر أراد إيقاع فتنة بين الأمراء ، واستعان فى ذلك بالأمير المملوك عمر بن على بك قطامش ، وافق معه على التخلص بالقتل من أربعة من البكوات المماليك ، وهم عثمان بك ذو الفقار ، وإبراهيم بك قطامش . وعبد الله بك القازدغلى ، وعلى بك كتنخدا الجافى . وهم إذ ذاك أصحاب الرياسة والنفوذ بمصر : وكان ثمن هذه الخيانة من المملوك عمر بك قطامش أن يعينه الولاى العثمانى أميراً للحج وأن يعطيه من بلادهم فائز عشرين كيساً) . . .

وبالطبع لم تطل ولاية هذا الولاى الأساس الذى قذف به السلطان العثمانى من الشام إلى مصر . فقد عرف البكوات فتنة : واتفقوا شره . واضطروه إلى مغادرة البلاد . على أن خلفه المسمى على باشا حكيم أوغلى قد احتاط لنفسه من أن يتهم بالفتنة منذ اللحظة التى حط فيها رحاله بمصر : فنذ حضر أول ديوان بميدان قراميدان . وكان يشهده الجلم الفقير من الناس . وقرئ مرسوم الولاية بحضرة الجميع وقف الولاى الجديدي يعلن فى صوت قوى مسموع : أنا لم آت إلى مصر لأجل إثارة فتن بين الأمراء . وإغراء ناس على ناس . وإنما أتيت لأعطي كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان أعطاني المقامات . وأنا أنعمت بها عليكم ! فلا تتعبوني فى حلاص المال والعزل ! !

والحق أن الدولة العثمانية فى ذلك الحين كانت مشغولة بضعفها وتقهقر

الأمر فيها عن أن توجه عنايتها إلى مصر أو إلى أى بلد آخر من البلدان التابعة لها . فقد كان عندها من المشاغل والمساائل ما يصرفها عن أن تتجه بإصلاح إلى هذه البلاد التى كانت بحاجة إلى إصلاح . وكانت الحروب والمنازعات التى قامت بينها وبين النمسا والروسيا فى ذلك العهد أكبر باعث للمماليك فى مصر على أن يحاولوا التخلص من سيادة تركيا . والاستقلال بمصر . وقد ظهر ذلك جلياً فى الدور الذى قام به المملوك على بك الكبير ، الذى كان كبيراً للبكوات المماليك فى مصر . والذى وصل ببقوته ودهائه وقوة أشياعه إلى أن صار شيخاً للبلاد سنة ١٧٦٣ م . فما كاد يرى الدولة العثمانية تدخل فى حرب مع روسيا سنة ١٧٦٨ حتى جاهر بنخلع يده من طاعة الدولة ، وامتنع عن دفع الخراج سنة ١٧٦٩ وأعلن استقلال مصر ، وعزل الوالى التركى المعين من قبل السلطان ، ومنع دخول أى واحد من الولاة العثمانيين إلى مصر ، وضرب النقود المصرية باسمه ، وبذلك تمت له كل مظاهر السيادة والاستقلال . ودانت له مصر كلها بوجهها لبحرى والقبلى . وقد كان هذا الحادث بعد ميلاد الشيخ حسن العطار بعامين اثنين . ولا شك أن الشيخ حسن العطار قد بدأ فى مطلع شبابه يعي أمثال هذا الحادث ولا شك أنه - وهو فى العشرين من عمره - قد شاهد الحملة العسكرية التركية التى جردتها الدولة العثمانية على مصر سنة ١٧٨٦ لكى تسترد سلطتها فيها بعد ما كان من استقلال على بك الكبير بأمر الحكم فى مصر . ولا شك أنه شهد فرار إبراهيم بك ومراد بك إلى الصعيد بعد أن نزلت الحملة التركية بقيادة حسن باشا الجزائرلى . ولا شك أنه شهد عودة إبراهيم ومراد إلى القاهرة واقتسام السلطة بينهما . وتلاشى ساطة الوالى التركى . إلى أن استقر إبراهيم بك شيخاً للبلاد ، وما زال فى المشيخة حتى جاء نابليون بونابرت على رأس الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ م .

ومن سوء الحظ أن الشيخ حسن العطار لم يدرك فى طفولته قيمة فترة الاستقلال القصيرة التى تمتعت بها مصر فى عهد على بك الكبير . وأنه قد شاهد بعينه قصة الصراع بين البكوات المماليك . ولعله قد شاهد كذلك مبلغ ما وصل إليه

ضعف الوالى التركى وفناء شخصيته واستقلاله ، حتى لقد كان يعزله المماليك حين يشاعون بأن يرسلوا إليه رسولا من عندهم يسمى الأودة باشى ، يلبس رداء أسود ، ويحمل قرار العزل . ولعله قد سمع تلك القصة التى رواها الرحالة سافارى ، ورواها كذلك الرحالة قولنى فى كتابه « ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام » حيث يذهب الأودة باشى إلى قاعة الاستقبال التى يجاس فيها الوالى ، فيدخل عليه ، وينحنى احتراماً له ، ثم يلمس طرف السجادة ويطويها ، ويقول : وجهاً الخطاب إلى الوالى : انزل يا باشا ! ثم يخرج من القاعة . وهنا يعلم الباشا الوالى أن المماليك البكوات حكموا بعزله . وأنه لا أمل له فى البقاء بعد ذلك ، فيحزم أمتعته ، ويتوجه إلى بولاق حيث يركب منها عائدلاً إلى استنبول ! !

ولم يحمل ضعف الولاة العثمانيين أى معنى غير قوة الحكم بيد المماليك ، وهى قوة لم يكن للشعب نصيب منها ولا مشاركة فيها ، فقد كان الأمر بيد جماعة من البكوات يتنازعون على السلطان ، ولو بذلوا فى سبيله أغلى الأثمان . . .

## ب - الحالة الاجتماعية

ولد الشيخ حسن العطار فى الثالث الأخير من القرن الثامن عشر كما سلف القول . ولقد استطاع مؤرخ مصرى متيقظ هو الشيخ عبد الرحمن الجبرتى أن يصور لنا فى كتابه كثيراً من الصور الاجتماعية فى مصر فى ذلك القرن الذى سبق مجيء الحملة الفرنسية ، وهو قرن كان امتداداً ونهاية لقرنين قبله من الحكم العثمانى . وتستطيع فى كل صفحة من تاريخ الجبرتى أن تستخرج صورة للمجتمع المصرى فى ذلك الزمن وخاصة فى تلك العقود من السنين التى سبقت مولد الشيخ حسن العطار . وإذا كان العطار من أسرة اشتغل عائلاً بالتجارة والعطارة فى أسواق القاهرة ، ولم تكن تعرف الأرض الزراعية ولا الفلاحة ، فإن صاحبنا لا شك قد أدرك - بوعيه ومشاهدته - نظام ملكية الأرض التى كان قدر قليل منها فى يد الفلاحين الذين كانوا مثقلين بالضرائب والأتاوات المفروضة يدفعونها

إلى « الملتزم » الذى كان يأخذ القرى التزاماً ، ويتصرف فيها تصرف المالك فى ملكه ، على أن يتكفل بدفع ضرائبها إلى الحكومة ويتولى هو بنفسه جباية المال من الفلاحين . وكان نظام الالتزام هذا يعرض بطريق المزايدة لمن يدفع له ثمناً أكبر من أصحاب النفوذ والقوة القادرين على الجباية . . . . وبعد أن كان الالتزام لمدة معينة صار يعطى للملتزمين مدى الحياة على أن ينتقل إلى ورثتهم متى دفعوا الإناوة للحكومة .

ولاشك أن حسن العطار قد شاهد وسمع عن مساوئ هذا النظام الذى كان يعطى الملتزم حق نزع الأرض من يد الفلاح — بحجة تقصيره فى دفع الضرائب — وإعطائها إلى فلاح آخر . مما جعل ملكية الفلاح التى يزرعها تحت رحمة هؤلاء هؤلاء الملتزمين . وكانت الضرائب بأنواعها ، سواء كانت مخصصة للحكومة أم لكاشف الإقليم أم حاكمه أم للملتزم نفسه ، تثقل كاهل الفلاح الذى وصفه الرحالة قولنى ووصف حالته فى عهد طفولة حسن العطار بقوله : ( والفلاحون آلات مأجورة : لا يترك لهم للمعاش إلا ما يقيمهم الموت ، وما يحصدونه من أرز وحنطة يذهب إلى موائد سادتهم ، على حين يحتفظون لأنفسهم بالدرة ويصنعون منها خبزاً بلا خبز . لا طعم له إذا كان بارداً ، يخزونه فى مائة وقودها من روث الأبقار والجواميس . فهذا الخبز مضافاً إلى الماء والبصل الأخضر هو طعامهم طول العام . ويحسبون سعادة إذا تخالط طعامهم هذا شئ من العسل والجبن واللبن الرائب . أما اللحم والدهن فلا يعرفونهما إلا فى الأعياد والمواسم الكبرى وفى بيوت أهل السعة منهم . . . )

ولعل الله أراد بأسرة حسن العطار خيراً حين قسم لهم الاشتغال بالتجارة . فقد كان التجار أقل تعرضاً للمظالم من الفلاحين وأصحاب الأرض الزراعية . كما كانت معيشتهم فى القاهرة والعواصم الكبرى تضمن لهم من وسائل الراحة والعيش الهنىء — نسبياً — ما لا تضمنه الفلاحة . على أن التجار لم يسلموا فى كثير من الأحيان من مصادرة أموالهم لأسباب يتخذها الحكام . وهؤلاء هم التجار الذين كان يبدو عليهم اليسار . . . أما تاجر كالشيخ محمد كتن ، والد

حسن العطار ، فقد كان يعيش في ستر الله في ذكائه الصغير ، وبهذا سلم من ظلم المصادرين ، وعيون المحصلين . . .

على أنه بجانب هؤلاء المستورين من التجار كان يوجد قلة من التجار الأثرياء الذين اجتمع لهم من الغنى الوافر والجاه العريض ما لم يفت مؤرخنا الجبرقي أن يصفه . فقد وصف لنا بيت الحاج أحمد الشرايبي الناجر ، ( وبيتهم المشهور بالأزبكية بيت الحمد والفخر والعز . وماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر جرجية وأمراء ، ومنهم يوسف بك الشرايبي . وكانوا في غاية من الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق ، والإحسان للمخاص والعامة . ويتردد إلى منزلهم العلماء والفضلاء ) .

أما أرباب الصناعة في المجتمع المصري فكانوا - على مهارتهم في بعض الصناعات - على حال من الضنك بما يفرضه الحكام عليهم دائماً من الإتاوات والغرامات التي كان يجمعها « شيخ الطائفة » ويوردها إلى الحكومة . ولقد أساء السلطان سليم بما فعله عند خروجه من مصر من نقل أمهر الصناع وأرباب الفنون إلى الأستانة ، فقد كسدت بذلك سوق الصناعة في البلاد ، وبقي على الزمن في خلال الثلاثة القرون من الحكم العثماني بعض الصناعات الدقيقة كصناعة البسط والأكلمة ، والتطريز التي كان يعجب بها الأجانب ويتهافتون على شرائها وخاصة تطريز الحرير والبلوخ والموسلين ، وتطريز الجلود بأسلاك الذهب والفضة ، وصناعة الكردون والشراريب من القطن والحرير وأسلاك الذهب والفضة التي اشتهر بها العقادون ، وصناعة الخراطة التي قام بها الخراطون في عمل النوافذ والأبواب والشبابيك والمشربيات والمنابر والحواجز ، وصياغة المعادن وخرط الكهرمان والعاج .

أما الصناعات الآلية الدقيقة فلم يكن من أهل البلاد من يعرفها ، وقد أفتت هذه الظاهرة أنظار كل الرحالين الذين وفدوا إلى مصر في ذلك العصر ، فكتب قولبي يقول ( إن الفنون الآلية ما يزال أبسطها في دور نشأته ، وأشغال النجارة والحداثة والأسلحة بعيدة عن الإحكام والإتقان ، وأنتك لتجهد نفسك لتحصل

على من يصلح لك ساعتك في القاهرة ، وإذا عثرت عليه فهو أجنبي . . . )  
 على أن ذلك لم يمنع من قيام صناعات أخرى تتصل بمواد التغذية ،  
 والملبس ، وحركة العمارة والتشييد . كطحن الحبوب ، وضرب الأرز وتبييضه ،  
 وطحن البن ، وعصر الزيوت ، واستقطار ماء الورد وما إليه ، واشتیار العسل ،  
 وصنع الفطائر ، وغزل القطن والكتان والصوف ونسجها ، ونسج الحرير ، ونحت  
 الأحجار . وصنع البلاط ، وتنجيد الأثاث ، وعمل المسابح ، وسك النقود .  
 وكان بجانب هذه المهن مهن أخرى أقل منها قدراً وأكثر اتضاعاً ،  
 كالمكارين الذين وصف المولىحى بقاياهم في « حديث عيسى بن هشام » ،  
 وكالحمالين ، والنوتية في النيل ، والسقائين الذين كانوا يحملون قرب الماء على  
 ظهورهم ، وقد وصفهم المستشرق إدوار ولیم لين وصفاً دقيقاً شائفاً خلال رحلته  
 إلى مصر في أوائل القرن التاسع عشر .

ولعل هذا التخلف في ميدان العلوم العملية التطبيقية وفي مجال الصناعات  
 والفنون هو الذى دعا الشيخ حسن العطار — حين صار له رأى مسموع — إلى  
 المناداة بضرورة الأخذ بالعلوم الطبيعية والأصول الهندسية ، بجانب الرسوخ  
 في العلوم الشرعية والأصول الفقهية ، فإن الدين لا يتعارض مع التفكير في ملكوت  
 السموات والأرض ومحاولة تسخير الطبيعة وقوى الكون للقوى العاقلة في الإنسان .  
 ومن المخالفة للواقع أن نقول إن المجتمع المصرى في ذلك العهد كان مجتمعاً  
 سليماً صحيحاً معافى من الأمراض . ولا شك أن الجهل والتسليم الناقص بالقضاء  
 والقدر كانا من أهم العوامل في انتشار الأوبئة والعلل بصورة مزعجة . حتى كان  
 مئات الألوف من النفوس تتعرض للموت في حالات الوباء .

ومن العجيب أن مصر منذ الاحتلال العثمانى لما كانت مسرحاً ومبابة لمرض  
 الطاعون الذى كان يفتك بالبلاذ فتكاً ذريعاً . فبعد ست سنوات ومائة من ذلك  
 الاحتلال أصيبت البلاد في زمن الوالى جعفر باشا بطاعون شديد لبث أربعة  
 أشهر ومات فيه ستمائة ألف نسمة . وبعد هذا الطاعون بسبع سنوات لا تزيد  
 اجتاح الوباء ثلاثمائة ألف نسمة . ويروى المؤرخ ابن أبى السرور البكرى أنه

فى سنة ١٠٥٠ هـ - أى بعد الاحتلال التركى بمائة وثلاثين عاماً - وفى عهد  
الوالى مقصود باشا - حصل طاعون لم يسمع بمثله ، وكان السبب فى خراب  
٢٣٠ بلدة من الوجه البحرى . . . ولا تنسى البلاد ذلك الطاعون الذى حدث  
فى شياخة المملوك المصرى ذى الفقار بك سنة ١١٤٢ هـ - ١٧٢٩ م قبل مولد  
العطار ببضعة وثلاثين عاماً . على أنه فى سنة ١٢٠٥ هـ - سنة ١٧٩١ م ، وسن  
العطار تبلغ خمسة وعشرين عاماً - حدث بمصر الطاعون الذى مات فيه السيد  
محمد ، رضى الزبيدى صاحب « تاج العروس » فى شرح القاموس وأحد شيوخ  
حسن العطار وعبد الرحمن الجبترى المؤرخ .

ولقد حدث فى عصر حسن العطار بعد ذلك وباءان عظيمان أولهما فى عهد  
الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م ، وثانيهما فى عهد محمد على سنة ١٨٢٣ ، وقد  
وصف الرجل الوبايين بما سنعرض له فى موضعه من هذا الكتاب بشئ من  
التفصيل الذى يقتضيه مشاركة صاحبنا فى وصف أحداث زمانه .

على أن ذلك المجتمع المريض الجاهل الفقير لم يسلم بالطبع من فعل  
الخرافات فيه وانقياده للأوهام والخزعبلات . وقد ولد حسن العطار - ذلك الشيخ  
الأزهرى المنتور - فى ظلمات تلك الخرافات ، فقبل مولده بسبع سنين لا تزيد  
حدثت حادثة العنزة التى رواها الجبترى المؤرخ فى حوادث سنة ١١٧٣ هـ .  
وبطل هذه الحادثة هو الشيخ عبد اللطيف كبير خدام المشهد النفيسى . فقد  
جلب عنزا واخترع لها قصة ، وزعم أن السيدة نفيسة - ذينة المشهد - تكلمت  
وأوصت بالعنزة ! وأن الشيخ نفسه سمع كلامها من داخل القبر ! وزعم الشيخ  
الرجال أن هذه العنزة لا تأكل إلا قلب الوز والفستق ، ولا تشرب إلا ماء  
الورد والمكر المكر ! فكان الناس يحملون إليه ذلك بالقناطير ! وحملوا إليه  
الندور ! وعمل النساء للعنزة قلائد الذهب والأطواق والحلى ونحوها . . . وافتتنوا  
بها ! وبلغ الخبر مسامع عبد الرحمن كنتخلها المشهور كبير البكوات المماليك  
فى مصر وصاحب العنائر الشهيرة بالقاهرة ، وكان رجلاً عاقلاً واعياً ، فاحتال  
على العنتر حتى ذبحها وصاحبها الرجال لا يعلم ، وقدمها له مشوية وهو يقول له :

كل يا شيخ عبد اللطيف من هذا الرميس الثمين ! والشيخ يأكل ويقول إن لحمها طيب ، ومستو ، ونفيس ! وهو لا يدري أنها عنزه ! والقوم يتغامزون ويتضحكون . فلما سأل الشيخ - في خاتمة الضيافة - عن عنزته قيل له إنها هي التي كانت في الصحن بين يديه ! ووبخه الأمير كتخددا على دجله وشعوذته ، وأمر بأن يوضع جلد العنزة على عمامته ، ويُسارَ به في شوارع القاهرة على هذه الحال ، وبين يديه الطبول والأشابير ! !

وكان حادث العنزة واحداً من عشرات الحوادث التي تدل على عقلية المجتمع المصري في ذلك العهد ، فقبله بخمسة وعشرين عاماً أشيع في الناس بمصر أن القيامة ستقوم بعد يومين اثنين . . . وراج هذا الكلام حتى في القرى والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضاً ، وكان يقول المرء لصاحبه : بقي من عمرنا يومان . . . وانقسم الناس فريقين : فريقاً لجأ إلى اللهو والحظ والخروج إلى الغيطان والمتنزهات ليتزود من الدنيا بآخر متعة ! ، وفريقاً لجأ إلى الابتال والصلاة يستغفر الله من ذنبه ! ومن عجب أن الفريقين صدقا الإشاعة ووقع صدقها في نفوسهم ، واستدلوا على صدقها بقول أصحاب الجفور والزائرات من اليهود والأقباط . فلما فات اليومان ولم تهم القيامة كما كانوا يتوقعون انتقلوا إلى القول بأن السيد أحمد البدوي ، والدسوقي ، والشافعي تشفعوا في ذلك ، وقبل الله شفاعتهم ! ! ولعل المجتمع المصري كان يتسلى من الظلم المحدث به والضيق الواقع عليه بأمثال هذه الخرافات والخزعبلات . . . على أن شيوخ ذلك العصر وأدبائه وشعراءه كانوا يهربون من الضيق المحيط بهم إلى جو آخر غير جو الأوهام والخرافات . . . فكانوا يتسلون على إساءات الزمان بالاجتماعات التي كانوا يقيمونها ويتبادلون فيها الأشعار والأسمار ، وباللدعات إلى المتنزهات حيث يستمعون إلى حفيف الأشجار . وغناء الأطياف . وسنلتقى في فصل مقبل بالشاعر إسماعيل الخشاب ، والشيخين حسن العطار وعبد الرحمن الجبرتي المؤرخ ، حيث كانوا يتنادمون في دار الجبرتي ، وي طرحون التكليف ، في جو أدبي ظريف . . .



## ح - الحياة العقلية

كانت مصر في القرن الثامن عشر لا تزال تابعة للدولة العثمانية ، وكان مظهر هذه التبعية هو وجود الوالي التركي في مصر ، وإن كان بكوات المماليك هم الذين يتولون الحكم الحقيقي في البلاد . ولم تكن مصر وحدها منفردة بهذه التبعية فقد شاركها في ذلك الشام والعراق والحجاز واليمن وبعض بلاد الشمال الإفريقي . ولم تكن تركيا نفسها بأبعد حظاً من هذه البلاد التابعة ، من حيث الحركة الفكرية والحياة العقلية . فحينما أراد سعيد بن<sup>(١)</sup> محمد جلبي سفير الدولة العثمانية في باريس لإدخال المطبعة لأول مرة في بلاده في القرن الثامن عشر وجد من الحكومة من المعارضة مثل ما لقيه من الشعب . فقد كان رجال الدين يتخرجون أشد الحرج من ذلك الاختراع الجديد ، ثم سمحوا بطبع الكتب غير الدينية ، وأخيراً سمحوا بطبع الكتب الدينية بناء على فتوى أصدرها رجال الشرع استناداً إلى القضية المسلم بها ، وهي أن الأمور بمقاصدها . . .

والواقع أن القرن الثامن عشر الذي ولد فيه حسن العطار لم يكن إلا على غرار القرنين السابقين له - وهما السابع عشر والسادس عشر - من حيث التخلف العقلي ، والتأخر الفكري الذي ظهر في البلاد بصورة واضحة . فاقتضت ضاعت تلك البقية الباقية من الحركة الفكرية والعلمية والأدبية التي كانت سائدة في عصر دولتي المماليك البحرية والشرابية . وبلغ من سوء حال الأدب في ذلك العصر أنه لم ينبغ في البلاد شاعر واحد يستحق أن يشار إليه . واقتصرت الحركة العلمية على وجود طائفة من العلماء والشيخوخ الذين اهتموا بتأليف الشروح والخواشي والتعليق والتقارير : بدلاً من الاهتمام بالابتكارات الأصلية في

---

(١) ذكر الأستاذ عمر السوقي في كتابه « في الأدب الحديث » ج ١ أن محمد جلبي سفير الدولة العثمانية هو الذي أراد هذا ، والواقع أنه ابنه سعيد الذي صار صديقاً عظيماً بعد ذلك . وانظر تاريخ الطباعة في الشرق العربي .

العلوم . وإذا كان عصر دولتي المماليك قد سمي عصر كتب الموسوعات  
والجاميع العلمية : فإن العصر العثماني يجملته قد سمي عصر الشروح والخواشي .  
ومن عجائب ما حدث في القرون الثلاثة للاحتلال العثماني أن اللغة التركية  
لم تستطع أن تنافس اللغة العربية أو تطردها في أوطانها ، ولكنها استطاعت أن  
تفسد ملكة اللسان العربي عند أصحابه . . . فقد رأينا ملكة التعبير هبطت عند  
كثير من الأدباء والمؤلفين ، كما رأينا الأصالة الفكرية قد استحالت إلى ضحالة ،  
ورأينا القرائح العربية قد جمدت ولم يعد لها ذلك الخصب الذي عهدناه في عهود  
القوة العربية ، وهبط مستوى التأليف الخالق المبتكر إلى درك من الجدل العقيم ،  
والتعليق السقيم ، والخواشي المزدولة التي لا ترتفع إلى مستوى الأصلاء في التفكير ،  
والتي لا تعدو أن تكون مجموعة من الاعتراضات المفردة التي لا تدل على استجماع  
فكر ، ولا تأصل رأي ، ولا استنباط علم . . . ومن هنا لم يظهر في القرن الثاني  
عشر الهجري الذي ظهر فيه حسن العطار إلا قلة نادرة من أمثال السيد مرتضى  
الزبيدي شارح القاموس المحيط ، والشيخ محمد الصبان الذي اشتهر بحاشيته  
على شرح الأشموني ، ولم يكن له من الأصالة في علم النحو مثل ما كان لابن  
هشام النحوي المصري من رجال القرن الثامن الهجري ، وصاحب شذور الذهب ،  
ومغني اللبيب ، وقطر الندى ، والذي شهد له المؤرخ ابن خلدون بقوله : « ما زلنا  
ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام ، أنحى  
من سيبويه . . . » حتى الشيخ عبد الغني النابلسي الرحالة اللغوي المنطقي  
المؤرخ المتصوف المشهور ، والذي كان يلقب بأستاذ الأساتذة ، لم يكن له من  
الأصالة في التأليف والفقه والفتوى ما يرفعه إلى مقام المؤلفين المبتكرين . . .  
وإذا كان عرضنا للمصنفات التي ظهرت في عصر ظهور الشيخ حسن  
العطار يدلنا على المتجه الفكري الذي وصلت إليه الحركة الثقافية في ذلك الزمان ،  
فإن عرضنا لطائفة من شعر ذلك العصر يدلنا على المستوى الذي هبط إليه التعبير  
والخيال فيه . ولعل الكلام هنا يقوى بالاستشهاد أكثر مما يقوى بإرسال الأحكام .  
ففي سنة ١١٨٢ هـ - سنة ١٧٦٨ م مات شيخ الإسلام أحمد الحالدي

الأزهرى . فرثاه الشاعر الشيخ مصطفى الصاوى ، وكان يلقب بنادرة العصر ،  
بقصيدة يقول فيها :

يادهر مالك با لكاره تجترى	ولفقد أرياب المكارم تحترى
تغتال منا ماجداً مع ما جد	طابت طباً نعه بطيب العنصر
تردى الكريم ابن الكريم وما ترى	حقاً لعهد الماهر المتبصر
إن أصبح المولى عزيز عشيرة	أمسيته فى ذل ذل أحقر
يغدو كريم النفس وهو مقدم	فيروح فى هون به متقهقر
وإذا حلت بالصفو حالة حاله	مرزتها ببغيض عيش أكدر
لو كنت ترعى فى الأفاضل حقهم	أبقيت مجمع شملهم فى الأعصر

ومن عجب أن الجبرى المؤرخ الذى يلقب الشاعر مصطفى الصاوى هذا  
بلقب نادرة العصر ، يصف هذه القصيدة بأنها فريدة . . .

ولا يزيد الشيخ عبد الله الإدكاوى — الشاعر المصرى فى أوائل عهد حسن  
القطار — شيئاً على زميله الشاعر مصطفى الصاوى . ولكنهما كانا نموذج الشاعر  
الرفيع فى عصرهما ، حتى ليغلى الجبرى المؤرخ فى تقديرهما وخلع النعوت عليهما .  
ومن الشعر الذى رواه له صاحب « عجائب الآثار » قوله فى الرد على المنجمين :

الله يعلم ما ما يكون ، وما به	تسرى الرياح ، وماله يجرى الفلك
فدع المنجم فى ضلالتة وما	ينسبك عنه فى مقالته أفك
واحذر تصدقه فتهلك جاهلا	يا مدعى الإيمان فيمن قد هلك
علم الآله محجب إلا على	من يرتضيه من رسول أو ملك
هذا اعتقادى والذى ألقى به	ربى لأسلك ناجيا مع من سلك

ولم يكن أى قطر عربى فى ذلك العهد بأسعد حالاً من مصر فى الشعر  
وغیره من فنون الأدب والعلم . فقد ظهر فى ذلك الزمان السيد جعفر السقا

باعلوى ، وكان يلقب بأديب جزيرة الحجاز ، ومع هذا لم يكن يتمتع في شعره إلا من البئر التي يتمتع منها بقية الشعراء في عصره . . .

ولقد ساعدت عجمة الدولة المتبوعة ، وجهلُ الحاكم ، واستهتارُ الوالي العثماني وضعفه . وصراع البيكوات المماليك وانشغالهم بأمور أنفسهم عن إصلاح أمور الشعب . وتعطيلُ المدارس ، وتبديدُ خزائن الكتب — ساعد كل ذلك على تأخر الحالة العلمية والأدبية في البلاد ، حتى صارت إلى حد كان لابد بعده من بزوغ نهضة جديدة تعوض ما فات ، وتجدد ما اندرس ، فكانت تلك النهضة التي ظهرت في القرن التاسع عشر . والتي كان رائدها الشيخ رفاعة الطهطاوى تلميذ الشيخ حسن العطار .

ولا شك أن تعطيل المدارس التي كانت مزدهرة في أيام الفاطميين والأيوبيين ودولتي المماليك كان عاملاً من عوامل التخلف في البلاد ، وإلى هذه الحقيقة يشير على مبارك في الجزء الأول من « الخطط التوفيقية » بقوله : ( من ابتداء القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر يعنى مدة ثلاثة قرون ، قد أهمل أمر المدارس ، وامتدت أيدي الأطماع إلى أوقافها ، وتصرف فيها النظر على خلاف شروط وقفها ، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فأخذوا في مفارقتها . وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد ، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية . وبيعت كتبها وانتهت . ثم أخذت تتشعث وتتعرب من عدم الالتفات إلى عمارتها ومرمتها . فامتدت أيدي الناس والظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها . حتى آل بعض تلك المدارس الفخمة والمباني الجليلة إلى زاوية صغيرة تراها مغلقة في أغلب الأيام ، وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو حوشاً أو غير ذلك ، ولله عاقبة الأمور . . . )

والواقع أنه لولا وجود الأزهر — على الرغم مما كان فيه من تخلف وجمود في مواد الدراسة — لقضى على الحياة الفكرية بمصر قضاء مبرماً . فقد كان الشيوخ الذين ينخرجون فيه مبعث ذلك البصيص من النور في البلاد ، وكانت الكتب الأزهرية — على الرغم من عقم مناهجها وعدم جدواها — مثاراً لانشغالات ذهنية ،

وإن كانت العلوم العقلية والرياضية والطبيعية قد هجرت في الأزهر تماماً ، حتى لقد تعجب الوزير أحمد باشا كور الوالى التركى على مصر سنة ١١٦١ هـ — أى قبل مولد العطار بعشرين عاماً — من عدم وجود العلوم الرياضية في الأزهر مع شدة رغبته في طلبها ، فلما استقر مقامه بالقلعة وقابل صدور العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر تكلم معهم في الرياضيات ، فأجابوه بأنهم لا يعرفون هذه العلوم ، فتعجب وسكت ، ثم انتهر فرصة اختلاؤه بالشيخ فقال له : المسهوع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت في غاية الشوق إلى الحجى إليها ، فلما جئتها وجدتها كما قيل : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . . . ولما علم أن بين أهل الأزهر قلة ممن يعرفون العلوم الرياضية — كالشيخ حسن الجبرتي والد مؤرخنا — فرح بالتردد عليه وقراءة كتب الرياضة معه .

وكان الشيخ حسن العطار من هذه القاة الأزهرية التى أدركت ضرورة العلوم العقلية والطبيعية لنهوض البلاد ، فإنه على الرغم من مشاركته الكثيرة في كتب الحواشى المتعددة التى سيجىء بيانها في موضع آخر من الكتاب ، كان صاحب فضل في التنبيه إلى قيمة العلوم الطبيعية ، وإلى ضرورة إدخال العلوم العصرية ، وله في ذلك العبارة المأثورة التى يقول فيها : ( إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها ) . ولا شك أن اتصال حسن العطار ببعض علماء الحماة الفرنسية قد أفاد عقليته المتحررة . كما أن اطلاعه على كتبهم وآلاتهم التى حملوها إلى مصر معهم قد أكد له قيمة العلم والتجربة ، ويقرر لنا على مبارك في الجزء الرابع من خططه أن الشيخ حسن العطار كان يتعجب مما وصلت إليه الأمة الفرنسية من المعارف والعلوم ، ومن كثرة كتبهم وتحريروها . وتقريبها لطرق الاستفادة .

## الفصل الثانى

### حسن العطار فى عصره

#### ١ - موجز حياة

ولد الشيخ حسن العطار سنة ١١٨٠هـ (١) - سنة ١٧٦٦ م بالقاهرة ، وكان أهله من المغرب فانتقلوا إلى مصر . وكان أبوه عطاراً - ومن هنا جاءه هذا اللقب . واسم والده الشيخ محمد كتن ، وكان لهذا الوالد مشاركة فى بعض العلوم كما يدل عليه قول المترجم له فى بعض كتبه : « ذاكرت بهذا الوالد رحمه الله » . وقد استخدم الوالد ولده فى شئونه ، ولما رأى منه إقبالاً على العلم ساعده على تحصيله ، فكان يتردد على الأزهر ويحضر حلقات كبار مشايخه فى ذلك العصر ، ومنهم شيخاه محمد الأمير ومحمد الصبان .

ولما جاء الفرنسيون إلى مصر سنة ١٧٩٨ هرب إلى الصعيد (٢) خوفاً على نفسه من أذاهم ، ثم عاد إلى القاهرة بعد قليل فاتصل ببعض رجال الحملة من العلماء ، فأفاد منهم واطلع على كتبهم وآلاتهم وتجارهم العلمية فكان ذلك بدء اتجاهه إلى تقدير العلوم الطبيعية والمناذاة بضرورتها . وقد اشتغل فى الوقت نفسه بتعليم اللغة العربية لبعض هؤلاء العلماء الفرنسيين . ويعترف العطار باتصاله بالفرنسيين فى مقامه له يتحدث فيها عن الكتب التى رآها عند القوم قائلاً : ( وكلها فى العلوم الرياضية والأدبية . وأطلعونى على آلات فلكية وهندسية ) . وقد اشتغل فى أثناء الحملة بالتدريس فى الأزهر ، فكان يقرأ على طلبته

---

( ١ ) ذكر الزركلى فى الأعلام أنه ولد سنة ١١٩٠ هـ . والنسب أثبتناه هو الصواب كما ذكره على مبارك فى الخطط التوفيقية . وذكر عمر الدسوقي صاحب كتاب « فى الأدب الحديث » أنه ولد سنة ١٨٦٦ م وهو خطأ مطبعى ظاهر .

( ٢ ) ذكر عبد الرزاق البيطار فى « حلية » البشر أنه فر إلى دمياط ، وهو وهم والصحيح ما حققناه .

شرح الأزهرية للشيخ خالد في علم النحو ، ويشير إلى ذلك في مقدمة حاشيته على الأزهرية . وزراه بعد هذا - ولغير سبب معروف - يخرج من مصر فاراً إلى البلاد الرومية سنة ١٢١٧ هـ - سنة ١٨٠٢ م مستصحباً بعض كتبه ، ويشير هنا إلى ما دهم مصر ( من حادثة الكفرة الفرنسيين ) . ولعل الحوادث التي أعقبت خروج الفرنسيين من مصر قد أرغمته على الفرار من البلاد . وفي سنة ١٨١٠ م يدخل الشام قادماً من بلاد الروم . فيلتبس منه أهل العلم في دمشق قراءة شرح الأزهرية ، فيفعل رجاء نفعهم . ويكون من تلاميذه هناك الشيخ حسن البيطار الذي استجازه فأجازه . . . وأقام العطار بالشام خمس سنين : ثم عاد إلى مصر سنة ١٨١٥ م بعد أن غاب عنها ثلاثة عشر عاماً قضاه في التجوال والترحال . وكانت الأمور في مصر قد استقرت ، وصارت ولاية البلاد لمحمد علي فعاد صاحبنا إلى التدريس بالأزهر<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ١٢٤٦ هـ - سنة ١٨٣٠ م تولى الشيخ حسن العطار مشيخة الأزهر بعد الشيخ أحمد الدمهوجي<sup>(٢)</sup> . فأداره على أحسن وجوه التدبير ، وظل في منصبه إلى أن توفي سنة ١٨٣٥ وهو شيخ للأزهر ، حيث عين خلفاً له في مشيخة الأزهر الشيخ حسن القويسني المكفوف البصر ، وصاحب التأليف الفقهية الكثيرة . ومن لطائف المواقفات أن يتعاقب على مشيخة الأزهر عالمان اسم كل منهما « حسن » .

وقد استغل أحد ظرفاء ذلك الزمان من الشعراء هذه اللطيفة فقال يمدح الاثنين ويعترف بفضلهما ويجمع بين التعزية والتهنئة :

( ١ ) توهم عبارة جرجي زيدان وعمر الدسوقي أن العطار بدأ يتولى التدريس في الأزهر بعد عودته من الشام سنة ١٨١٥ ، والصواب أنه درس في الأزهر في أثناء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ كما صرح هو بعبارة في حاشيته على الشيخ خالد . . .

( ٢ ) ذكر الأب لويس شيخو أن العطار تولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ محمد العروسي ، وهو خطأ ، والصواب ما حققناه ، وقد تابعه على هذا الخطأ الأستاذ عمر الدسوقي الذي نقل عن طرازي وشيخو .

ولئن مضى (حسن) العلوم لربه فلقد أتى (حسن) وأحسن من حسن  
 أنت المقدم رتبة ورياسة وديانة من ذا الذى ساوالك؟ من؟  
 وقد عُرف الشيخ حسن العطار بمؤلفاته الكثيرة، وخاصة حواشيه على كتب  
 النحو والتوحيد والأصول والبلاغة. كما عرف بأسلوبه الأدبي وعبارته الإنشائية  
 الأنيقة التى كانت تجرى على طريقة الزخرف والمحسات. وله أشعار رقيقة  
 ستعرض لها فى فصل خاص. وبلغ من اهتمامه بالشعر أنه جمع ديوان ابن سهل  
 الأندلسى وبوبه.

أما ميله إلى العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب فبدل عليه كتبه ورسائله  
 فى كيفية العمل بالأسطرلاب، والربعين المقنطر والمحجب، والطب والتشريح،  
 وأشكال التأسيس فى علم الهندسة، هذا إلى ما كان من إتقانه رسم المزال  
 الليلية والنهارية بيديه.

وقد امتاز حسن العطار بقراءته الواسعة العميقة للكتب العربية والمعرّبة فى  
 زمانه. ولم يختص بعلم معين، أو بفن بعينه من الفنون، ولكنه كان حريصاً  
 على الإفادة من كل علم. وكان يطرز الكتب التى يقرأها بهواه وشه وتعليقاته،  
 ويقول فى ذلك تلميذه الشيخ رفاعه الطهطاوى: (كان له مشاركة فى كثير  
 من العلوم، حتى فى العلوم الجغرافية، فقد وجدت بخطه هوامش جليّة على  
 كتاب تقويم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة المشهور أيضاً بالملك  
 المؤيد. وللشيخ المذكور هوامش أيضاً وجدتها بأكثر التواريخ وعلى طبقات  
 الأطباء وغيرها. وكان يطلع دائماً على الكتب المعربة من توارىخ وغيرها، وكان  
 له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية... (١).

وتوفى العطار سنة ١٢٥٠ هـ — سنة ١٨٣٥ (٢).

(١) مباحج الألباب المصرية: لرفاعة الطهطاوى: مطلب أنه ينبغي العلماء الشرعيين أن يشبهوا  
 أيضاً معرفة المعارف البشرية كالعلوم الحكمة العملية. ص ٣٧٥.

(٢) ذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار فى حلية البشر أنه توفى سنة ١٢٣٥ هجرية، وهو خطأ  
 خلط فيه صاحبه بين رقى الأحاد والعشرات فى التاريخين الهجرى والميلادى.



## ٢ - شيوخ وأساتذة

يذكر الأب لويس شيخو اليسوعي ، والكونت فيليب طرازي اثنين من رجال الأزهر على أنهما بعض كبار المشايخ الذين أخذ حسن العطار العلم عنهم ، وهما الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد الصبان . والواقع أن العطار نفسه لم يحوجنا إلى أن نتساءل عن أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ، ففي إجازته العلمية التي كتبها للشيخ حسن البيطار الدمشقي في أثناء إقامته بالشام يذكر لنا قائمة الشيوخ الذين « اقتبس أنوارهم ، واغتنم أسرارهم » . وندعه يقول بعبارة : ( منهم ) والله الحمد عدد كثير ، كل له قدر خطير . ففهم العلامة الشيخ محمد الصبان ، والفهامة الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن المغربي ، والشيخ أحمد السجاعي ، والشيخ أحمد العروسي . والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ محمد الشنواني ، والشيخ عبد الله سويدان وغير هؤلاء من السادة الشافعية . وأما من السادة المالكية فالإمام الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عرفة الدسوقي ، والشيخ أحمد برغوث ، والشيخ البيلي وغيرهم <sup>(١)</sup> ولنقف لحظة مع كل واحد من هؤلاء الذين كانوا شيوخ زمانهم في القرن الثاني عشر . فالصبان هو صاحب الشروح والخواشي الكثيرة ، وكان ملازماً للعجرتي الوالد . ولازوه الإملاق أول أمره ، ثم أقبلت عليه الدنيا وازداد وجاهة وشهرة وخاصة بعد اتصاله بالوالي إسماعيل كتحدا . وتوفي سنة ١٧٩٢ م . ويشير إليه العطار دائماً في حاشيته على شرح الأزهرية بقوله : شيخنا .

والشيخ أحمد بن يونس كان من المشتغلين بالأنحو والأصول والجدل ، وله حواش ورسائل كثيرة : وكان تلميذاً للعجرتي الوالد مدة ، وتوفي سنة ١٧٩٤ م . والشيخ أحمد السجاعي كان من فقهاء الشافعية بمصر : وله شروح وحواش ومتون ورسائل في الفقه والأدب والتصوف والمنطق . وقد اشتهر بحاشيته على شرح القطر لابن هشام النحوي . وتوفي سنة ١٧٨٣ م . والشيخ أحمد العروسي كان

(١) حلية البشر ج ١ ص ٤٩١ .

شيخاً للأزهر بعد وفاة الشيخ أحمد الدمنهورى ، وقد تتلمذ عليه الجبرقى المؤرخ وترجم له ، ولما توفى سنة ١٧٩٣ رثاه الشاعر السيد إسماعيل الخشاب بقصيدة مطلعها :

تغير وجه الدهر وازور جانبه وجاءت بأشراط المعاد عجائبه  
وكدر صفو العيش وقع خطوبه وقد كان ورداً صافياتٍ مشاربه

وقد اشتهر العرومى بحاشيته على المولى على مَن السمرقندية فى الاستعارات .  
والشيخ عبد الله الشرقاوى كان فقيهاً نحويّاً محدثاً مؤرخاً ، تخرج فى الأزهر وتولى مشيخته لبضعة عشر عاماً وكانت الحملة الفرنسية فى خلال عهده بالمشيخة ، وكان أحد العلماء العشرة الذين كَوّن منهم بونابرت ديوان القاهرة ، وقد اشترك فى البيان الذى أكرهوا على توقيعهِ للتحذير من معارضة سلطات الاحتلال الفرنسى . وقد اشتهر بكتابه « تحفة الناظرين » ، فىمن ولى مصر من السلاطين .  
ويجىء ترتيبه الحادى عشر فى شيوخ الأزهر منذ إنشاء هذه الوظيفة . والشيخ محمد السنوانى كان من علماء الأزهر المشتغلين بالفقه والحديث والنحو ، وتولى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشرقاوى مباشرة ، وظل فيها ست سنوات ، وله حواش فى الحديث والتوحيد ، وتوفى سنة ١٨١٨ م . والشيخ عبد الله سويدان كان من علماء الأزهر المشاركين فى الحديث والوعظ والأصول ، واشتهر بسويدان ، وكان كفيف البصر ، وله مؤلفات فى مصطلح الحديث وتوفى سنة ١٨١٩ م والشيخ . محمد الأمير كان من فقهاء المالكية الكبار وعالماً بالعربية . وهو من بلدة سنبل من صعيد مصر ، ولذا سُمى بالسنبولى ، واشتهر بالأمير لأن جده كانت له إمرة فى الصعيد ، وهو كالشيخ حسن العطار من حيث أصوله المغربية . وأكثر كتبه حواش وشروح وتقارير . واشتهر بحاشيته على كتاب المغنى لابن هشام ، وبشرحه المختصر خليل فى الفقه المالكى ، وكان شيخاً مبعجلاً ممدحاً . وللشاعر إسماعيل الخشاب فيه مدائح متنوعة مذكورة فى ديوانه المطبوع بالجواثب ، وتوفى الأمير سنة ١٨١٧ م . والشيخ محمد عرفة الدسوقي كان من علماء المالكية ،

وله مشاركات في الفقه والكلام والبلاغة والنحو والهندسة والهيئة والتوقيت ، واشتهر بحاشيته على المغنى ، وحاشيته على شرح السنوسى على مقدمة أم البراهين في العقائد ، وحاشيته على شرح البردة لجلال الدين المحلى . وتوفى سنة ١٨١٥ م .  
والشيخ أحمد برغوث كان من علماء المالكية كذلك ، وهو من مواليد قرية اليهودية بالبحيرة ، وكان فيه انغزال عن الناس ، وانكسار وتواضع . ويذكر المؤرخ عبد الرزاق البيطار أنه ( لم يتزى بزى الفقهاء ، ولم يظهر بمظاهر العلماء ويمشى في حوائجه لنفسه . . . ) وتوفى سنة ١٨٠٩ م . والشيخ أحمد الببلي كان من علماء المالكية أيضاً ، وقد ترجم له الجبرتي ، وعلى مبارك ، والبيطار ، وعمر رضا كحالة ، وهو من بلدة بنى عدى من صعيد مصر . وقد اشتهر بحافظة قوية غريبة ، فكان يملى على الطلاب ما ذكره أصحاب المتون والخواشى دون رجوع إلى الكتب وتوفى سنة ١٨١٠ م .

هؤلاء هم شيوخ الشيخ حسن العطار وأساتذته . وهم كما ترى يمثلون ثقافة الأزهر واتجاهاته العلمية والفكرية في ذلك العصر . وإن كان المترجم له قد رأى بعيد نظره ، وسعة أفقه ، وشدة تطلعاته أن يتجاوز الدائرة التي كانت تحيط بعلوم الأزهر ومؤلفات رجاله إلى دائرة أوسع تلاثم العصر ، وتحقق تسخير الإنسان لقوى الطبيعة في هذا الكون الرحيب . . .

### ٣ - تلاميذ نجباء

إذا كان الشيخ حسن العطار قد صُنِعَ على يد طائفة كريمة من علماء وقته ومشهورى عصره ، فقبس منهم ألوان المعارف التي كانت سائدة في زمانه ، فإن الله قد جعل منه شيخاً مباركاً وأستاذاً كريماً تخرج بعلمه وأدبه جماعة من كبار الرجال في عصره . ويكفيه فخراً أن يكون الشيخ رفاعة الطهطاوى رائد الفكر وإمام النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر أحد تلاميذه النجباء . ويذكر مؤرخنا عبد الرحمن الراعى أن الشيخ رفاعة الطهطاوى أخذ العلم عن الشيخ حسن

الطار . فأحبه الشيخ لما آتته فيه من الذكاء والانكباب على العلم ، وقربه إليه ، وحفه برعايته . وكان التلميذ رفاعه يتردد على شيخه كثيراً في بيته ، يأخذ عنه العلم والأدب والجغرافية والتاريخ . ولما كان الطار ميالاً بطبعه إلى العلوم العصرية ولا يرى الانحصار في دائرة كتب الشرع فحسب ، فقد أودع هذا الميل في نفس تلميذه رفاعه الطهطاوى ، مما أهله بعد ذلك ليكون إماماً للبعثة العلمية في باريس ، ومما فتح ذهنه إلى البحث وسلامة التفكير والإسهام في نقل العلوم عن الغربيين حتى يفيد منها أهل وطنه . وهنا يظهر فضل الطار على رفاعه الطهطاوى ، فهو أول من وجهه إلى الاعتراف من موارد العلم والأدب ، وهو أول من قوّم عبارته وحررها من كثير من قيود عصره ، وهو أول من دله على قيمة العلوم العملية الطبيعية وضرورتها بما لا يقل عن أهمية العلوم الشرعية .

ولقد كان رفاعه أثيراً عند شيخه حسن الطار ، وطالما فتح له الشيخ بيته وصدوره وأذنه ليسمعه من رائق الشعر وفائق النثر ( ما يستدل به شيخه على أنه وحيد عصره ، وفريد مصره ، وأنه صاحب القريحة الوقادة ، والفكرة النقادة ) . وما ضن الشيخ على تلميذه بعطف ولا رعاية ولا توجيه ، فهو الذى اختاره عند محمد على ليكون إماماً لبعثة باريس ، وهو الذى أوصاه بتأليف كتاب في هذه الرحلة ، وهو الذى فتح عينيه على القيم الكبرى للحياة والعلم الحقيقى لا علم الحواشى والشروح . . . . . وندع المؤرخ صالح مجدى يحدثنا في كتابه « حلية الزمن » عن هذه التلمذة قائلاً : ( وأما تلمذته — يعنى رفاعه الطهطاوى — لاشيخ حسن الطار المتوفى في اثنين وعشرين من شهر ذى القعدة سنة خمسين ومائتين وألف<sup>(١)</sup> ) وقد آلت مشيخة الأزهر إليه قبل العلامة الشيخ حسن القويسنى ، فكانت مستمرة من مبدأ دخول صاحب الترجمة إلى خروجه من الأزهر بجمعية من أرسلوا من مصر إلى باريس لاكتساب العلوم الأجنبية ، حيث انتخبه لذلك العلامة المشار إليه ، وأوصاه بعمل رحلته الباريسية الآتى ذكرها عند بعض مؤلفاته وتعليقاته .

(١) يحقق لنا هذا النص سنة وفاة الشيخ حسن الطار ، ويصحح ما ذكره المرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار خطأ في حلية البشر .

وكان للمرحوم فضيلة الامتياز عند الأستاذ العطار عن سائر طلبته ، وكثيراً ما كان يلازم بيت الأستاذ المذكور في غير الدروس ليتلقى عنه علوماً أخرى ، كالتاريخ والجغرافية والأدب (١) .

وثاني تلاميذ الشيخ حسن العطار هو الشيخ حسن قويدر ، وهو مغربي الأصل كأستاذه ، ولكن أسرته نزحت إلى فلسطين وأقامت بها ، وولد هو بالقاهرة . وكان مشهوراً بالعلم والأدب ، ولكنه جمع بين ذلك وبين أسباب الرزق فكان يتعاطى التجارة بين مصر والشام ، ويملاً أوقات فراغه بالتأليف والمذاكرة في العلوم . ولقد بلغ من إعجابه بشيخه العطار أنه ألف كتاباً في الإنشاء والمراسلات عنوانه « زهر النبات » على غرار الكتاب الذي ألفه حسن العطار في الإنشاء ، كما أنه شرح منظومة حسن العطار في النحو شرحاً مطولاً ، ولم يكف التلميذ بشرح منظومة أستاذه بل قرظها شعراً يقول فيه :

منظومة الفاضل العطار قد عبقث منها القلوب برياً نكهة عطره  
لو لم تكن روضة في النحو يانعة لما جنى الفكر منها هذه الثمرة  
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها والليل داج أرائنا وجهها قمره  
قالوا جواهر لفظ ، قلت : لا عجب بحر البلاغة قد أدى (٢) لنا درره  
ومن مؤلفاته : نيل الأرب في مثلثات العرب ، وشرح منظومة العطار في النحو ، وزهر النبات ، وشرح على مزدوجته البديعية ، ورسالة الأغلال والسلاسل ، في مجنون اسمه عاقل (٣) .

وثالث تلاميذ حسن العطار هو الشيخ محمد عياد الطنطاوي . ونكتفي هنا بما ذكره المستشرق الروسي الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكى في كتابه « حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي » قائلاً : ( كذلك كان من معلمى الطنطاوي ،

(١) حلية الزين بمناقب خدام الوطن - لصالح مجدى ص ٢٥ .

(٢) الآداب العربية للويس شيخو - ج ١ ص ٥٣ ، وحلية البشر للبطار ج ١ ص ٥٠٥ .

(٣) أعيان البيان لحسن السندي ص ١٩ .

حسن العطار ١٧٦٦ هـ - ١٨٣٤ م<sup>(١)</sup> . ولم يكن الشيخ حسن العطار عالماً فحسب ، بل وشاعراً أيضاً ، وقد رأى من المستطاع أن يتقرب من الفرنسيين ليتعرف إلى تفوق ثقافتهم ، ولم يرفض في أيام شيخوخته أن يكون محرراً لأول جريدة عربية مصرية أسسها محمد علي ، وفي السنوات الأخيرة من عمره صارت إليه مشيخة الأزهر<sup>(٢)</sup> .

أما رابع تلاميذ حسن العطار فهو الشاعر المصري الشيخ محمد شهاب الدين ، من مواليد مكة ، ومن المقيمين بمصر . ويذكر جرجي زيدان<sup>(٣)</sup> أنه تفقه في الأزهر على الشيخين : العروسي وحسن العطار ، كما يذكر ذلك الأب لويس شيخو اليسوعي . ويزيد شيخو على هذا قائلاً : إنه لما أنشأ الشيخ حسن أول جريدة ( كذا ) طبعت في الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٨٢٨ اتخذ شهاب الدين كمساعد له في إنشائها ( كذا ) ثم خلفه في إدارتها سنة ١٢٥٢ - سنة ١٨٣٦ . وهذا كلام يحتاج إلى الوقوف أمامه ، فإن مسألة إنشاء حسن العطار للوقائع وتحريره فيها لا تزال موضع خلاف بين المحققين . . . وسنعالجها في فصل خاص . وقد ترك لنا الشاعر محمد شهاب الدين من مؤلفاته « سفينة الملك » ونفيسة الفلك » وفيها نماذج كثيرة من الموالى والموشحات والأزجال والأهازيج التي يتغنى بها ، كما ترك لنا « ديوان شهاب الدين » وكان لنا حظ دراسته وتحليله في كتابنا « تراجم عربية » .

#### ٤ - بين التدريس والمشيخة

جمع الشيخ حسن العطار في حياته المباركة بين التدريس في الأزهر أول عمره ، ومشيخة الجامع الأزهر في ختام حياته . وكثير من علماء الأزهر المشهورين

( ١ ) هذا التاريخ الميلادي يحتاج إلى تصحيح ، وصوابه سنة ١٨٣٥ كما ذكرنا قبل .

( ٢ ) انظر كتاب « حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى » من مراجعتنا وتحقيقنا وتعليقنا ، وهو من منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

( ٣ ) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٢١٣ .

لم يجمعوا بين الاثنين ، كالشيخ الأمير ، والصبان ، وعلى الصبيدي ، وأحمد السجاعي ، ومحمد عروة الدسوقي وغيرهم .

وتوهم عبارة جرجي زيدان ، والأب لويس شيخو ، والكونت فيليب طرازي أن العطار ابتداء التدريس في الأزهر بعد عودته من رحلته الطويلة إلى بلاد الروم والشام سنة ١٨١٥ م ، وقد نقل الأستاذ عمر الدسوقي عنهم هذه العبارة بما تحمله من الوهم والإيهام دون تمحيص<sup>(١)</sup> . والحق أنها مزلة كان يجب التنظير إليها ! فإن العطار نفسه يصرح في مقدمة كتابه : « حاشية على شرح الأزهرية في علم النحو للشيخ خالد » بأنه كان يدرس هذا الكتاب ويقرؤه على طلبته بالأزهر في خلال الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ ، كما أن العطار في إجازته التي كتبها للشيخ حسن البيطار العالم الدمشقي ذكر في ختامها أنه ( خادم العلم بالأزهر الشريف ) . وكان ذلك بالطبع في أوائل سنة ١٨١٠ م - أي قبل عودته إلى مصر بخمس سنوات .

وكانت حلقة الشيخ العطار بالأزهر تغص بالطلاب ، فقد كان العلماء - كما ذكره مؤرخ معاصر - يتركون حلقات غيره ، ويتكاثرون على حاقته يستمعون<sup>(٢)</sup> . وقد نقل هذا المؤرخ هذه الحقيقة عن كتاب الخطط التوفيقية لغلى مبارك حيث يقول : ( وقد مضت مدة على تفسير البيضاوي لا يقرؤه أحد : فحضره أكابر المشايخ . فكانوا إذا جاس للدرس تركوا حلقتهم وقاموا إلى درسه )<sup>(٣)</sup> .

ولا شك أن تحرر الشيخ حسن العطار الفكري وبعده من الجلود ودعوته الجديدة إلى الأخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمام بالعلوم القديمة قد جذب إليه الطلاب من كل فج ، وهداهم إلى مجاسه في أثناء تدريسه بالأزهر . ويستوى في ذلك مقامه بمصر أم بالخارج . ففي مقامه بدمشق لفت إليه أنظار طلبة العلم

(١) انظره في الأدب الحديث « لعمر الدسوقي ج ١ ص ٤٦ ، وزيدان ج ٤ ص ٢٣٢ ،

وتاريخ الصحافة العربية لطرازي ج ١ ص ١٢٩ وتاريخ الآداب العربية لشيخو ج ١ ص ٥٢ .

(٢) مصر في القرن الثامن عشر - محمود الشقراوى - ج ١ ص ٥٠ .

(٣) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٣٩ .

هناك ( فتلقاه أهلها بما لاق ، وعقدوا على تفوقه وتفرد به بالفضائل كلمة الاتفاق ) كما يقول مترجم سيرته عبد الرزاق البيطار .

ومن عجب أن النقص الذى كان يشكو منه العطار فى برامج الأزهر وكتبه واتجاهاته العلمية قبل أن تؤول إليه مشيخة الأزهر ، لم يتناوله بالإصلاح والمعالجة بعد أن آلت إليه المشيخة . وقد كان يُرجى منه — بعد تنبهه لحالة الأزهر وهو مدرس فيه — أن يعمل شيئاً لإصلاحه ، ولكنه لم يصنع فى هذا السبيل شيئاً . ولعله جارى اتجاه محمد على فى إغفال شأن الأزهر . فقد رأى هذا الوالى — بما أوتيهِ من مكر عميق — أن يترك الأزهر على حاله ونظامه القديم ، مخافة أن يثير سخط العلماء إذا حاول إصلاحه وجعله يساير حركة التقدم العلمى الحديث . ولا نقول — كما قال عبد الرحمن الرافعى — أنه لم يجد بين العلماء من يضطلع بهذه المهمة ويعهد إليه بها <sup>(١)</sup> ، فقد كان من الممكن أن يقوم بهذا الإصلاح الشيخ حسن العطار . وهو قادر عليه . وكان من الممكن أن يقوم به الشيخ رفاعة الطهطاوى ، ولكن الوالى رأى أن الوقت لم يكن مناسباً بعد للإصلاح ، وأن النفوس لم تكن مهيأة له .

وقد تولى العطار مشيخة الأزهر سنة ١٨٣٠ بعد ما أوفت سنة على الخامسة والستين ، فجاء بعد الشيخ أحمد بن على الدمهوجى الشافعى — لا بعد الشيخ أحمد <sup>(٢)</sup> العروسى كما ذكر خطأ بعض المؤرخين ومن تابعهم من المؤلفين . ومن هنا لا يعتد بما جاء فى كتب « الآداب العربية فى القرن التاسع عشر » و « تاريخ الصحافة العربية » و « فى الأدب الحديث » فإنها تنقل الخطأ عن بعضها بعضاً .

ويلوم المرحوم العالم المحقق الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، الشيخ حسن العطار على إهماله إصلاح الأزهر واكتفائه ( بذلك الصوت الخافت الذى أرسله فى مواضع يصعب العثور عليها من حاشيته على شرح جمع الجوامع ، بل كان

( ١ ) عصر محمد على ج ٣ ص ٦٠٨ .

( ٢ ) ذكر الأب شيخو أن اسمه محمد العروسى ، والصواب أحمد — ص ٥٢ .



يجب عليه أن يجهر بذلك الصوت بين جنبات الأزهر لينبه أهله من غفلتهم ، ويوقظهم من رقتهم<sup>(١)</sup> كما يتهمه بأنه كان ضعيف الروح ( فلو رزق الروح القوية لأدخل الإصلاح في الأزهر بالقوة ، كما أدخل محمد على الإصلاح في مصر بالقوة )<sup>(٢)</sup> ونسى الأستاذ الصعيدي أن محمد على لم يكن في نيته إصلاح الأزهر لأسباب ليس هنا مجال مناقشتها في مقام ضيق . . .

## ٥ - بين العطار والشاعر بطرس كرامة

تصادفنا في الجزء الرابع من « الخطط التوفيقية » عبارة نقلها المؤرخ على مبارك عن الشيخ حسن العطار يقول فيها المترجم له بعبارة : ( قدم علينا بمصر عام سبعة وثلاثين بعد المائتين والألف ، كبير رجال الدروز لقيام أهل الجبال عليه ، ملتجئاً بوزيرها محمد علي ، وقدم بصحبته بطرس النصراني ، فاجتمع بالفقير - يعني العطار نفسه - مراراً ، ورأيت منه أدباً جمّاً ، ومحاضرة ومعرفة بالتواريخ والأيام والأنساب والنحو وغير ذلك ، وكان يكتب الخط الحسن ، وامتدحتني بقصيدة منها :

أما الذكاء فإنه أذكى وأبرع من إياسه  
أضحى البديع رفيقه لما تفرد في جناسه  
في أي فن شئت فكأنه بانى أساسه

فن هو كبير الدروز هذا الذي ثار عليه أهل الجبال والتعجأ إلى مصر محتجماً بمحمد علي ؟ ومن هو بطرس النصراني هذا الذي جاء بصحبته ؟ والذي كان جم الأدب : حسن المحاضرة ، عارفاً بالتاريخ والأيام والأنساب والنحو ، والذي كان حسن الخط ، حاضر الشعر إلى حد أنه مدح الشيخ حسن العطار بقصيدة

(٢١) تاريخ الإصلاح في الأزهر ج ١ ص ٢٢ ، ٢٤ الشيخ عبد المتعال الصعيدي .

روى لنا المترجم ثلاثة من أبياتها ؟

الحق أن هذا الخبر قد يقبله القارئ العادى بدون أن يلفت نظره فيه شيء ، ولكن القارئ المتعمق المتفطن للأحداث وتواريخ الرجال يقف عنده وفقات طويلا . . . فكبير الدروز هذا لم يكن - كما روى ، وهما ، على مبارك عن العطار - رجلا من الدروز ولا كبيرهم ! وإنما هو الأمير بشير الشهابى ، الذى كان مسيحياً - ولم يكن درزياً فأعلن إسلامه . أما الشيخ بشير جنبلاط فكان كبير الدروز . وليس هو من بيت الأمراء الشهابيين . ولكن اسم « بشير » اختلط على الراوى والناقل . فبشير الشهابى المسيحى الذى اعتنق الإسلام والذى جاء إلى مصر وفى صحبته « بطرس النصرانى » هو غير الشيخ بشير جنبلاط كبير الدروز ، وهو لم ينجى إلى مصر . ولم يكن له شأن مع محمد على . والحق أن أهل الجبال - يعنى جبال لبنان - قد ثاروا على الأمير بشير الشهابى لأسباب سياسية لا محل لذكرها هنا ، وكانت أسرة جنبلاط الدرزية تؤيد الأمير بشير الشهابى وتناصره<sup>(١)</sup> ليحفظوا بهذا نفوذهم وسطوتهم أمام الأسر الدرزية الأخرى ، ومن هنا جاءت العداوة بين الأمير بشير وبين الدروز . ولم يخضع بعض أهل لبنان لسلطان الأمير بشير الشهابى وأبوا أن يدفعوا له المال المفروض عليهم ، فقامت بينه وبينهم حروب ودسائس انتهت بمجيئه إلى مصر سنة ١٨٢١ ملتجئاً إلى محمد على ، ومتفاهما معه على بعض الأوضاع فى الشام ، وفى صحبته شاعره الأديب اللبناني الكبير بطرس كرامة صاحب ديوان « سجع الحمامة » وأقرب المقربين إلى الأمير بشير . هذا هو « كبير الدروز » الذى أشار إليه حسن العطار فى كلامه عن نفسه ، وهذا هو « بطرس النصرانى » الذى كان فى صحبته . . .

وقد روى الكونت طرازى ، والأب لويس شيخو البيتين اللذين قالهما الشاعر اللبناني بطرس كرامة فى مدح الشيخ حسن العطار حين قابله بمصر لأول مرة : وهما :

قد كنت أسمع عنكم كل نادرة حتى رأيتك ياسوئلى وياأربى<sup>(١)</sup>  
والله ما سمعت أذننى بما نظرت لديك عيناى من فضل ومن أدب  
على أن الأبيات الثلاثة التى رواها حسن العطار نفسه هى من قصيدة طويلة  
للشاعر بطرس كرامة فى مدحه مطلعها :

وانى يطوف بشمس كاسه قمر تلثم فى نواسمه<sup>(٢)</sup>  
طاب الصبوح فيخذ على ورد بوجنته وآسه ...  
وتبلغ أبياتها تسعة وعشرين بيتاً .

والحق أن الشاعر كرامة لم يمدح حسن العطار وحده فى مصر ، بل مدح  
العالم الكبير الشيخ المهدى ، ولكنه خلط فى مدحه بين العلماء والقيان ، فمدح  
بمصر مغنية فى عصر محمد على كانت تدعى « أم رضوان » ، فقال وأبدع :  
رعى الله مصرأ إن مصرأ لجنه يزول بها من صاحب الهم همه  
ففى جنه الفردوس رضوان وحده وفى مصر رضوان كذاك وأمه !  
والحق أن « كرامة » أعجب بمصر كلها ما بين علمائها وقيانها ، ورجالها  
ونسائها ، فقال يمدحها بقصيدة مطلعها :

تجلت لدينا فى محاسنها مصر فراق لنا وجه المسرة والبشر  
ولقد اختلط الأمر على مؤلف كتاب « مصر فى القرن الثامن عشر » فذكر  
أن الذى قدم إلى مصر فى أيام محمد على وتعرف إليه حسن العطار ( هو رجل  
من الدروز اسمه بطرس )<sup>(٣)</sup> . ولن نضيف هنا تصحيحاً جديداً ، فبطرس

(١) تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ١٣٠ . و « تاريخ الآداب العربية » لشيخو ص ٥٢ .  
و ديوان كرامة ص ٢٩١ .

(٢) ديوان سمح الحامدة ص ٣٠٠ .

(٣) صفحة ٥٠ من الجزء الأول من كتاب « مصر فى القرن الثامن عشر » للأستاذ المؤرخ  
محمد الشرقاوى . وهو كتاب نقيس فى موضوعه .

كرامة لبناني مسيحي كان شاعر الأمير بشير الشهابي ، وما كان درزيًا في يوم من أيام حياته .

## ٦ - التحرير في الوقائع المصرية

في بضعة من كتب تاريخ الأدب والنقد والتراجم التي ترجمت للشيخ حسن العطار نجد أنها تكاد تجمع على أن هذا الموجه الأول لحركة الأخذ بالعلوم الحديثة قد اشتغل بالتحرير في صحيفة الوقائع المصرية التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨ هـ وجعلها لسان حال الحكومة ، والجريدة الرسمية للدولة . فرى الأب لويس شيخو يذكر أنه ( لما أنشأ الشيخ حسن العطار أول جريدة طبعت في الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٨٢٨ اتخذ كمساعد له في إنشائها شهاب الدين المذكور - يعني الشاعر شهاب الدين <sup>(١)</sup> ) . ونرى مؤلف تاريخ الصحافة العربية يذكر في الفصل الذي كتبه عن الوقائع المصرية أنه قد تولى تحريرها بعد رفاعة الطهطاوي كثير من أرباب الشهرة الواسعة في العلم : من أمثال فارس الشدياق ، وحسن العطار <sup>(٢)</sup> . وعن هذين المصدرين نقل المؤرخ جرجي زيدان <sup>(٣)</sup> . وظل الخبر ينقل من مصدر إلى مصدر حتى رواه الأساتذة أحمد الإسكندري وأحمد أمين وزملاؤهما في كتاب « المفصل » على الصورة الآتية : ( وعاد حسن العطار إلى مصر فتولى تحرير الوقائع المصرية ) <sup>(٤)</sup> . وكرر هؤلاء الأساتذة هذا الخبر في كتاب « المنتخب من أدب العرب » الذي كلفوا جمعه وشرحه من قبل وزارة التربية والتعليم . وفي معجم « المنجد » للأب لويس معلوف اليسوعي أن العطار هو محرر جريدة الوقائع المصرية لأمر محمد علي . ويذكر صاحب كتاب « في الأدب الحديث » <sup>(٥)</sup> أن العطار عهد إليه بتحرير الوقائع المصرية بعد أوبته

( ١ ) الآداب العربية ج ١ ص ٨٤ .

( ٢ ) تاريخ الصحافة العربية لطرازي ج ١ - ص ٤٩ - ٥٠ .

( ٣ ) تاريخ آداب اللغة العربية - ج ٤ ص ٥٢ .

( ٤ ) المفصل ص ٣٣٥ . ( ٥ ) هو الأستاذ عمر الدسوقي

إلى مصر<sup>(١)</sup> . ويردد الأستاذ محمود الشرقاوى هذه الرواية قائلاً إن محمد علي اختار الشيخ حسن العطار محرراً للوقائع المصرية أول صدورها<sup>(٢)</sup> .

ونجد من أصحاب الموسوعات في تراجم الرجال أن الأستاذ خير الدين الزركلى<sup>(٣)</sup> يتفق مع الأب لويس شيخو في أن حسن العطار تولى إنشاء جريدة الوقائع المصرية في بدء صدورها . فهما لا يكتفیان بأن ينسبا إليه القيام بتحرير الوقائع بل ينسبا إليه القيام بإنشائها . . . على حين أن الأستاذ عمر رضا كحالة — مؤلف موسوعة معجم المؤلفين — لا يتعرض لحكاية الوقائع المصرية بنى أو تأكيد بل يسقطها من حساب السيرة . . .

أما الأستاذ سامى بدرأوى فله دراسة جيدة عن الشيخ حسن العطار في مجلة « المجلة » . وفيها يكرر حكاية تحرير العطار للوقائع المصرية في ثلاثة مواضع من مقاله . ويزيد أن سر اختياريه أول محرر للوقائع المصرية يكمن وراء جمال أسلوبه<sup>(٤)</sup> . ويتقدم كاتب هذا المقال خطوة في الإثبات فيشير إلى بعض الإشارة الدالة على موقف العطار السياسى في عهد محمد علي قائلاً : ( أما الإشارة الثانية إلى موقف العطار السياسى في عهد محمد علي فنجدها في الوقائع ، في الفترة التى ولى فيها العطار تحرير القسم العربى منها ١٨٢٨ — ١٨٣٠ م . وخلاصة هذه الإشارة أن أحد محررى الوقائع واسمه عزيز أفندى كان يحرص على أن يعرض الأخبار التى ترد إليه من محمد علي عرضاً موجهاً : أى أنه كان يعاق عليها برأيه الشخصى ، ولم يرض ذلك محمدا عليا ، فلفت نظر عزيز أفندى مرة ومرة . وفي الثالثة نحاذ نهائياً عن الوقائع . وبعد ذلك بقليل نجد رئيس التحرير نفسه يعتذر عن كتابته بعض أشياء لم يكن مطلعاً عليها فوقع بها الخطأ ، وأن سعادته — يعنى محمد علي — أمر بأنه لا يكتب شئ إلا بعد الاطلاع على حقيقته ليكون

( ١ ) في الأدب الحديث : لعمر الدسوقي ص ٤٦ .

( ٢ ) مصر في القرن الثامن عشر — ج ١ ص ٥٠ .

( ٣ ) انظر معجمه الكبير ( الأعلام ) ج ٢ ص ٢٢٦ .

( ٤ ) مجلة المجلة عدد مارس سنة ١٩٦٥ ص ٣١ — ٣٣ — ٣٥ .

خالياً من السهو والخطأ. ويشكر المحرر محمداً علياً لتجاوزه عن هذا الأمر ، بل واختياره المحرر عضواً في المجلس العالى من غير استحقاق (١) .

هذه قصة اشتراك الشيخ حسن العطار في تحرير الوقائع المصرية وفي إنشائها ، ولكننا نجد مؤرخاً حديثاً للصحافة ، بل ومؤرخاً للوقائع المصرية نفسها ينكر مشاركة العطار في تحريرها ؛ ويقول بنص عبارته : (وعندى من الأسباب ما يجعلنى أستبعد إلقاء أمر التحرير العربى فى جريدة الوقائع إلى الشيخ حسن العطار . فقد أنكرته الوثائق الرسمية إنكاراً تاماً ، بينما حرصت على ذكر تفاصيل إدارة الوقائع وتحريرها . وهى تفاصيل دون قدر الرجل ومكانته كمحرر اللغة العربية فى الصحيفة الرسمية ، وكان أحق بالذكر منها ، والشيخ حسن العطار شاعر ناثر لا ينافس فى ميدان الإنشاء والتحرير منافس . . . وما أثر عن أسلوب العطار لا يتفق مطلقاً مع تحرير الوقائع التى هوى أسلوبها وكاد يصل فى معظم أعدادها إلى اللغة الدارجة) (٢) .

ولابد فى ختام هذا الفصل من أن نصصح وهماً كبيراً وقع فى كتاب « أدب المقالة الصحفية فى مصر » وفى الجزء الأول منه . فقد ذكر مؤلفه الفاضل أنه كان يشرف على تحرير القسم العربى بالوقائع رجلان هما : السيد جمال الدين الأفغانى ، ومحمد بن إسماعيل ، والشيخ عبد الرحمن الصفتى ! ! وواضح أن فى الكلام اضطراباً ساقه هذا المساق ، الذى لا يعز كشفه على فطنة المؤلف ! وعلمه . كما لا يعز تصويبه على القارئ الكريم الذى يعرف أين مكان السيد جمال الدين الأفغانى من عصر محمد على ؟ ؟

## ٧ - بين العطار والجبرقى المؤرخ

شاعت الأقدار أن يلتقى ثلاثة من أعلام مصر فى عهد الحملة الفرنسية وفى عهد محمد على على صداقة متينة لم تنل منها الأيام ، على الرغم من اختلاف

(١) مجلة المجلة - عدد مارس سنة ٦٥ ص ٣٥ .

(٢) تاريخ الوقائع المصرية : ص ٦٧ - ٦٨ نشر مكتبة الآداب بالقاهرة .

مشاربهم في الحياة . وهؤلاء الثلاثة هم الشاعر إسماعيل الحشاش ، والعالم حسن العطار ، والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي . وسنلتقي في فصل «سبل مع هذا الثالوث في مطارحه وفي مطارحاته . . . ولكننا هنا في هذا الفصل سنتحدث عن وجهتي حسن العطار والجبرتي ورأيهما في الحكم وفي الدولة الجديدة التي عهدت إليها الأقدار أن تتولى زمام مصر في أول القرن التاسع عشر ، وهي الدولة التي أقامها محمد علي . ويلفت النظر عند نظرنا إلى هذين الصديقين المفكرين اختلاف منبهجهما في الحياة وخاصة عند قيام حكم محمد علي . فالجبرتي المؤرخ كان مقدراً لذكاء محمد علي ونشاطه ودهائه ومضائه في كل أمره ، وشهامته وتدييره ، ولكنه كان ينقم عليه أموراً منها ظلمه وظلم ولده إبراهيم واستبداده بالأمر ، وطفغان شخصه على الشخصية المصرية .

والجبرتي — في تاريخه العظيم — يقف للدولة العلوية الجديدة بالمرصاد . يسجل أخطاءها ، ويرصد عيوبها . فلا يخشى مثلاً أن يقول في كتابه عن محمد علي إنه «يمتاز بالدهاء ، والحيلة ، والمداينة » ، بل وصفه مؤرخنا فوق هذا بحلفه الأيمان الكاذبة للنقيب السيد عمر مكرم (على سيره بالعدل وإقامة الأحكام والشرائع ، والإقلاع عن المظالم . . . فيتورط المخاطب بذلك القول ، ويظن صحته ! ) والجبرتي المؤرخ كان يرى دولة محمد علي دولة ظالمة ، ويسمى رجالها وأنصارها بالظالمين . . . وكان يرى أن الذين أعانوها على قيامها مشاركون لها في الظلم . . . وذلك كان رأيه في عمر مكرم حين نقاه محمد علي ، ( فإن الذي وقع له بعض ما يستحقه ، ومن أعان ظالماً سلط عليه ، ولا يظلم ربك أحدا . . . ) والجبرتي يصف ما فعله إبراهيم بن محمد علي بأهل الصعيد من تعذيب قائلًا : ( . . . فإنه فعل بهم فعل التتار ، عندما جالوا بالأقطار ، وأذل أعزة أهلها . . . ) وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل ، سنة دون العشرين عاماً ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه . . . لم يؤدبه مؤدب ، ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ، ولا منبهيات . . . ) (١) .

ولقد فر العطار من القاهرة حين جاء الفرنسيون إلى مصر ، كما فر الجبرتي المؤرخ إلى مزرعته في بلدة أبيار ، وعاد العطار من مقره بالصعيد كما عاد الجبرتي . . . ولكن العطار اتصل بعلماء الحملة اتصالاً قريباً ، على حين كان الجبرتي يباعد نفسه منهم .

وعلى حين نرى هذا النقد اللاذع ، وهذا الغضب المصوب على محمد علي ورجاله من الجبرتي المؤرخ ، نرى الشيخ حسن العطار يمدح محمد علي ويغلي في مدحه في مفتتح كتابه ( إنشاء عطار ) واصفاً إياه بأنه ( مدبر الممالك ، مؤمن المسالك ، منور الحواك : زينة الأسرة والأرائك ، قانع البغاة ، مبيد الطغاة . . . ) إلى آخر هذه الترائيل المعروفة التي لا يحذفها إلا مصانع كاسب لمودات الرجال . . . بل نراه يتجه بالشعر إلى مدح إبراهيم « باشا » عند عودته ظافراً من حروب الشام قائلاً في مطلع القصيدة :

سَمَهْرِيْ يَنْشَنِيْ أَمْ غَصْنُ بَانَ ؟ أَمْ قَوَامٌ دُونَهُ صَهْرِيْ بَانَ ؟  
صَانَ بِالْعَسَالِ مَعْسُولَ اللَّحْمَى وَتَهَادَى ، هَادِماً مَا أَنَا بَانَ . . .  
والقصيدة طويلة فارجع إليها في الجزء الرابع من خطط على مبارك .

ولقد عرف العطار طريق الوصول إلى محمد علي ، فقد كان له — كما يروي صاحب الخطط — ( اتصال خاص بسامى باشا وأخويه باقى بك وخير الله بك ، وله عليهم مشيخة : وبواسطتهم كان يجتمع على المرحوم محمد علي باشا فيجمله ويعظمه ويعرف فضله ) . أما الجبرتي فقد كان يتحاشى أبواب أصحاب السلطان ، وخاصة بعد أن أصيب بمصرع ولده خليل نتيجة لغضب سايمان أغا السلحدار أحد الدهاة في بلاط محمد علي .

وقد يقال — كما قاله الأستاذ خليل شيبوب — إن ائتلاف الأمزجة ، واتفاق الطبائع هو السبب في توثيق أواصر المحبة بين العطار والجبرتي ، ولكن الذى لا شك فيه أن ائتلاف نظريهما إلى معنى الحكم ، وأخلاقية الحاكم قد أدى بهما إلى مذهبين مختلفين . وجهتين متباينتين . وإن كانا قد ظلّا عمريهما على حب وصفاء . في حالتي السراء والضراء . . .



## ٨ - الحَكَم الذى ترضى حكومته

يلفت النظر فى حوادث سنة ١٢٣٦ هـ - سنة ١٨٢٠ م التى ذكرها الجبرقى فى الجزء الرابع من تاريخه ، هذا الحادث الذى ندعه مُروياً بعبارة صاحبه حيث يقول : ( وفيه من الحوادث أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكى بالإسكندرية قرر فى درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب فى حكم الميتة لا يجوز أكلها . وما ورد من إطلاق الآية فإنه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم . فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه . ثم تكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه . فقال : أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثق بعلمه . ثم إنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع . فألف رسالة فى خصوص ذلك وأطبب فيها ؛ فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب . واعتمد قول الإمام الطروشى فى المنع وعدم الحل . وحشا الرسالة بالخط على علماء الوقت وحكامه ، وهى نحو الثلاثة عشر كراسة ( كذا ) ، وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم ، فقرأها على أهل الثغر ، فكثرت اللغط والإنكار ، خصوصاً وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة . وانتهى الأمر إلى الباشا ، فكتب مرسوماً إلى كتبخدا بيبك بمصر : وتقدم إليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة ، وأرسل إليه بالرسالة أيضاً المصنفة . فأحضر كتبخدا بيبك المشايخ ، وعرض عليهم الأمر ، فلطف الشيخ محمد العروسى العبارة ، وقال : الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لا ينكر علمه وفضله ، وهو منعزل عن خلطة الناس . إلا أنه حاد المزاج ، وبعقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم ، ونهى بعد ذلك الأمر إليهم . فاجتمعوا فى ثانى يوم ، وأرسلوا إلى الشيخ على يدعونه للمناظرة ، فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة يقولان إنه لا يحضر مع الغوغاء ، بل يكون فى مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ

محمد بن الأمير . بحضرة الشيخ حسن القويسنى ، والشيخ حسن العطار فقط ، لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة ! فلما قالوا ذلك القول تغير ابن الأمير وأرعد وأبرق : وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل ، وعند ذلك أمروا بحبسهما فى بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب إلى بيت الشيخ على وإحضاره بالمجلس ولو قهراً عنه . فركب الأغا وذهب إلى بيت المذكور ، فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجته ومن معها من البيت ، وسمر البيت ! فذهبت إلى بيت بعض الجيران ! ثم كتبوا عرضاً محضراً وذكروا فيه بأن الشيخ على على خلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم فى تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ! ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب . والرأى لحضرة الباشا فيه إذا ظهر ، كذلك فى الشيخ إبراهيم باشا السكندرى . وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيرة ، وأرسلوه إلى الباشا . وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ، ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على ، ورجع أهله إليه . وحضر الباشا - يعنى محمد على - إلى مصر فى أوائل الشهر ، ورسم بنى الشيخ إبراهيم باشا إلى بنى غازى . ولم يظهر الشيخ على من اختفائه . . . )

هذا الخبر الذى رواه الجبرقى يحمل دلالات كثيرة ، وقد يستنبط القارئ منه أشياء متنوعة تتصل بجرية الرأى ، ولغظ العوام ، وخصومات العلماء ، وسطوة الحكام ، ورعاية الاعتبار ، وتلطيف الفتن . . . ولكن الذى يهمنى منه هو رضا الشيخ على الميلى المتهم بأن يكون الشيخ حسن العطار أحد الحكمين فى هذه المسألة ، وثانى القاضيين فى مجلس المناظرة ، وأوطمها الشيخ حسن القويسنى . فاختيار العالم المتهم لذين الحكمين هو دليل على اطمئنانه إليهما ووثوقه من مناصرتهم للحق ، وعدم ميلهما إلى الهوى . وتلك شهادة من عالم محقق لعالمين يراهما - وهو فى موضع الاتهام - أهلاً للثقة ، وموضوعاً للعدالة . وقد اختارهما صاحبنا ليخففا من حدة الشيخ الأمير فى المناقشة ، فكأنهما صمام الأمن الذى به يستطيع أن يناقش خصمه فى هدوء ، ويجادله فى اطمئنان . وقد حدثت هذه الحادثة والشيخ خان حسن العطار وحسن القويسنى ليسا إلا مجرد عالمين من علماء

الأزهر ، ولم يكن واحد منهما قد وصل إلى مشيخة الأزهر بعد . وفي هذا دلالة على المكانة العلمية وعلى الحيدة التي كان يتمتع بها هذان العالمان .

وليس في هذا الاختيار من العالم المتهم دلالة على رأى العطار والقويسنى فى الحكم على ذبيحة أهل الكتاب . وهل هى جائز أكلها أم لا يجوز ؟ فقد يكون رأيهما مخالفاً لرأيه ، ولكنه دلنا على أن حسن العطار وحسن القويسنى أهل لأن يطمأن إليهما ، ويوثق بهما . وتلك شهادة تدلنا على مكانة الشيخ حسن العطار فى عصره ، ومنزلته من مخالفيه وموافقيه على السواء . . .

## ٩ - قارئ الكتب الواعى

لم يصل حسن العطار إلى تلك الخصيلة الواسعة من المعارف البشرية فى عصره إلا بما حصله من قراءة الكتب . فإن شيوخه وأساتذته فى الأزهر لم يعطوه من المعارف وثرأ الفكر قدر ما أعطته الكتب الكثيرة التى قرأها وعلق عليها ، وأعاد قراءتها . فقد كان صاحبنا قارئاً ممتازاً ، وكان للكتب عنده محل عظيم من نفسه . وما عرف عنه أنه ضن على كتاب يقتنيه بمال مهما ارتفع سعره ، على الرغم من عدم تكاثر الأموال بين يديه . وتدلنا أخباره المثبتة هنا وهناك فى تضاعيف مصنفاته على مبلغ عنايته بالكتب التى يسمع بها . وشدة رغبته فى الحصول عليها . ففي الجزء الثانى من كتابه « جمع الجوامع » يسوقه الحديث إلى كتاب « توشيح التوشيح » ، فيقول عنه : ( وهذا الكتاب من أجل كتب المصنف ، وقعت إلى نسخته وأنا بمدينة دمشق الشام ، ومقدمة ذلك الكتاب بخطه ، فاشتريتها . . . )<sup>(١)</sup>

وما كان العطار ليسافر دون أن يستصحب الأسفار والكتب فى أسفاره ورجلاته . ويذكر لنا فى مقدمة حاشيته على شرح الأزهرية للشيخ خالد أنه لما خرج فاراً من مصر إلى البلاد الرومية ، كما سبق الحديث عن ذلك فى صفحة ٢١

(١) جمع الجوامع : لحسن العطار ج ٢ ص ٣٠١ .

استصحب مسودة هذا الكتاب وغيرها من بعض كتبه . ولم يكن العطار يكتفى بقراءة الكتب التي تقع في يده ، بل كثيراً ما كان يطرز هوامشها بتعليقاته وكتاباتة . ويؤيد هذه الحقيقة ما ذكره عنه الشاعر الشيخ محمد شهاب الدين ، ونقله عنه على مبارك من أن الشيخ حسن العطار ( كان آية في حدة النظر وشدة الذكاء . ولقد كان يزورنا في بعض الأحيان ، فيتناول الكتاب الدقيق الخط الذي تعسر قراءته في وضوح النهار ، فيقرأ فيه على نور السراج وهو في موضعه . وربما استعار مني الكتاب في مجلدين : فلا يلبث عنده إلا الأسبوع أو الأسبوعين ، ويعيده إليّ ، وقد استوفى قراءته ، وكتب في طرره على كثير من مواضعه )<sup>(١)</sup> . فهو لا يبالي أن يعلق على هوامش الكتاب وطرره حتى ولو كان مستعاراً وليس في ملك يده . ويقرر لنا هذا الخبر سرعة حسن العطار في القراءة مع الاستيعاب والفهم . فالكتاب الضخم في مجلدين لا يأخذ منه أكثر من أسبوعين لقراءته واستيفاء موضوعاته والتعليق على هوامشه .

وتدلنا الرسالة التي بعث بها حسن العطار إلى الشيخ مصطفى بكري الساعاتي<sup>(٢)</sup> من أدباء وقته على مبلغ اتساع دائرة قراءة الرجل وكثرة محفوظه من كتب الأدب والتاريخ والأخبار والمحاضرات وما إليها ، ففيها إشارات إلى أخبار أدبية طريفة تدل على أن الرجل كان مطلعاً على كثير من كتب الأدب والتاريخ والشعر .

ولم يكنف العطا بالكتب العربية ، بل اتجه إلى الكتب التي ترجمت في أوائل عصر النهضة في القرن التاسع عشر ، فقرأها ، وأفاد منها ، وجمع بها بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب . ويشهد له تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوي بهذا فيقول عنه : ( وكان يطلع دائماً على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها )<sup>(٣)</sup> . بل يتحدث العطار نفسه عن قراءاته وإطلاعاته على الكتب فيقول : ( وقع في زمننا

(١) الخطط التوفيقية - ج ٤ ، ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ص ١٣٣٦ .

(٢) مجلة روضة المدارس عدد ١٨ سنة ١٢٨٧ هـ ص ٢٥ ، وعدد ١٩ ص ٢٤ .

(٣) مباهج الألباب المصرية لرفاعة الطهطاوي .

أن جلبت كتب من بلاد الإفرنج . وترجمت باللغة التركية والعربية ، وفيها أعمال كثيرة ، وأفعال دقيقة ، اطلعنا على بعضها . وقد تتحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القوة إلى الفعل (١) .

ويفسر لنا نهم العطار بالقراءة وتحصيل المعارف كلفه بالمعرفة وحبه الأصيل للعلم . ويؤكد لنا الأستاذ سائى بدرأوى ( أن مفتاح شخصية العطار يكمن فى هذا الحب للعلم ) . كما يقرر ( أن كلفه بالمعرفة والتعلم هو الذى جعله فذاً بين أقرانه تلميذاً وأستاذاً ، وهو الذى صاحبه فى كافة مراحل حياته ، وجعله حدثاً فى عصره ) (٢) . والحق أن الشيخ حسن العطار كان حدثاً فى عصره ، وكان ظاهرة قليلة النظر . بل نادرة المثل .

## ١٠ - ثنائى مرح . . . وثلاثى متلازم . . .

تصادفنا فى سيرة الشيخ حسن العطار شخصيتان كبيرتان ربطت الود بينهما وبينه بأوثق رباط ، وهما شخصية عبد الرحمن الجبرقى المؤرخ ، وإسماعيل الخشاب الشاعر الخفيف الروح . ويروى لنا الجبرقى فى حوادث سنة ١٢٣٠هـ - سنة ١٨١٥ م نبأ وفاة الشاعر الخشاب ، ويحدثنا عن هذه الصلة قائلاً : ( وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته ، مازج المذكور - يعنى الشاعر الخشاب - وخالطه . ورافقه ووافقته ولازمه ، فكانا كثيراً ما يبيتان معاً ، ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ، والطف من اتساق نظم الدرر . وكثيراً ما كانا يتنادمان بدأرى ، لما بينى وبينهما من الصحة الأكيدة ، والمودة العتيقة ، فكانا يرتاحان عندى ، ويطرخان التكلفات التى هى على النفس شديدة : ويتمثلان بقول من قال :

( ١ ) جمع الجوامع لحسن العطار جزء ٢ ص ٦٤١ .

( ٢ ) مجلة الحجة عدد مارس سنة ١٩٦٥ . ص ٣٢ .

فَ انقباض ووحشة فإذا رأيت أهل الوفاء والكرم  
أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم!

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان في كل من فن من الفنون الأدبية ،  
والتواريخ والمحاضرات ، فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الإخوان ، وأخرى  
يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل وإحسان !  
فكانت تجري بينهما مناديات أرق من زهر الرياض ، وأفتك بالعقول من الخدق  
المراض ، وهما حينئذ فريدا وقتها ، ووحيدا مصرهما ، لم يعززا في ذلك الوقت  
بثالث ، إذ ليس ثم من يدانیهما فضلاً عن مساواتهما في تلك الشئون التي أربت  
على المثاني والمثالث ! (١)

ولا نجد كلاماً أصدق في وصف صحبة هذا الثالث من كلام الجبرتي المؤرخ  
ولا أدق منه وألطف ! والواقع أن الجبرتي يتواضع هنا حين يذكر عن العطار  
والخشب الشاعر أنهما لم يعززا بثالث في زمانهما ؛ فقد كان الجبرتي نفسه ثالث  
هذه الجماعة المتلاقية على الحب والوفاء والألفة والسر والأدب . وتدلنا شهادة  
مؤرخنا الجبرتي لحسن العطار على روح هذا العالم الأديب الذي كان يذوب رقة  
ولطفاً ، والذي كان يجارى الشاعر الخشب في غزلياته ومعاثاته ، ومفاكهاته ،  
بل في مجونياته ! وقد أسقط الثلاثة الكلفة بينهم في مجاسم الخالص هذا ، وفي  
أسمارهم ومنادياتهم ومطاراتهم .

والواقع أن الشاعر إسماعيل الخشب كان أكثر الثلاثة ظرفاً ، وأميلهم إلى  
الدعابة في انطلاق كثير . . . وكان فيه براعة في اجتذاب قلوب مجالسيه  
ومحدثيه ، حتى لقد كان أمراء مصر وبكواتها وتجارها وعلماءها يرتاحون لمناذمته ،  
ويتنقلون على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عبارته . وكان فيه كذلك  
قدرة عجيبة على استحضار المناسبة اللائقة بالمجلس ، وعلى مخاطبة الحضور  
على قدر عقولهم ؛ فيجانب الناس ويشاكلهم على قدر اختلاف أهوائهم . . .

ولقد بلغ من وفاء الشيخ حسن العطار لصديقه إسماعيل الخشاب الشاعر أنه هو الذى جمع شعره وأظهر ديوانه ، كما تشير إلى ذلك عبارة فى الصفحة الثانية من الديوان المطبوع بالجواثب<sup>(١)</sup> ، وكما يذكر الجبترى فى ترجمته للخشاب . وكثيراً ما كان هؤلاء الثلاثة يتنادون إلى الرياض ، ويتداعون إلى المتنزهات استجلاً للأنس ، واطراحاً للهم . فترى الخشاب الشاعر يدعو الجبترى المؤرخ إلى متنزه ، قائلاً : —

يا سيدى يا سندی      ويا عريق المحتد  
ويا أنا منظره      جلاء عين الأرمد  
أدعوك تأتى مسرعاً      وبإلذاك من يد ؟  
نؤم قصرأ جامعاً      كل المعانى الشرد  
نصغى إلى مزهر من      أضحى فريد البلد !

وكثيراً ما كانت تقوم المعارضات الشعرية بين أعضاء هذا الثلاث الطريف . فحين نظم حسن العطار موشحته التى يقول فيها على طريقة الأندلسيين :

أما فؤادى فعنك ما انتقلا      فلم تخيرت فى الهوى بدلاً ؟ فاعجب  
يا معرضاً عن محبة الدنف      ومغرمأ بالجمال والصلف  
ومن به زاد فى الهوى شغفى      أما كفى يا ظلوم ما حصلاً ؟  
حتى جعلت الصدود والملا      مذهب !

فتش فؤادى فليس فيه سوى      شخصك يا أيها المليح ثوى  
قد ضل قلبى لسكنه ، وغوى      وهكذا من يحب معتدلاً  
لم يلق إلا تأسفاً وقلى      مشرب ...

(١) ديوان الخشاب : طبع الجواثب ص ٢ من الديوان أو ٣٤٥ من المجموع الذى طبعه فارس الشدياق مشتملاً على دواوين أخرى لابن الوردي وغيره .

حين نظم العطار هذه الموشحة التي منها هذه الأبيات عارضه الشاعر الخشاب بموشحة مطلعها :

يهتز كالغصن ماس معتدلاً      أطلع بدرأً عليه قد سدلاً غيب  
ولا شك أن العطار كان له شعر كثير في الغزل ، كما كان له ديوان — كما يذكر الجبرتي<sup>(١)</sup> . ولا نعلم الآن مصير هذا الديوان المخطوط وأين مكان وجوده ، ولكننا نعلم يقيناً أن حسن العطار ذكر في رسالته إلى الشيخ مصطفى بكرى الساعاتي أنه ضاع منه بدمشق كراس من ديوان شعره<sup>(٢)</sup> . ولعله — على جلال قدره في العلم — تخرج من شعر غزله وشبابه فزعم أنه ضاع منه كراس في دمشق .

ولقد كان الجبرتي المؤرخ أكثر الثلاثة جدّاً ، ولكن العطار لم ير في مجالس الأدب والظرف والمنادمة من حرج ما دام الدين متبوعاً ، وعلم الشريعة مصوناً . أما الخشاب فكان أكثر الثلاثة ميلاً إلى الإسراف في المضاحكات والمطارحات واصطياد اللذات .

ولما مات الخشاب الشاعر لم يجد حسن العطار في الجبرتي من يسد مسده ، ويملاً فراغه : فبقى — كما يقول مؤرخنا — فريداً عن يشاكله ويناشده ويتجارى معه ، فسكت عن الشعر والنثر الأدبي جملة ، وانقطع عن مجالس السمر والمنادمة ، وانصرف إلى تقرير العاوم الفقهية والنحو ، والتصنيف في مقررات الأزهر ما بين حواش وشروح ومتون . . .

## ١١ - وصاف الأوبئة

لقد كانت مصر ، بل كان الشرق العربي كله . في العصر الذي شهد مولد حسن العطار مباءة لكثير من الأوبئة ومنها الطاعون ، الذي لفت أنظار

(١) تاريخ الجبرتي : طبعة بولاق ج ٤ ص ٢٤١ .

(٢) روضة المدارس عدد ١٨ ص ٢٨ .



الرحالين الأجانب فتحدثوا عنه في رحلاتهم : والذي كان يحصد الأرواح حصداً . وكان وباء الطاعون يتكرر حدوثه كل بضع سنوات كما لاحظ ذلك الرحالة ثولنى . ولقد شهد حسن العطار في حياته الطويلة بضعة من الطواعين : أولها الطاعون الذى حدث سنة ١٢٠٥ هـ - ١٧٩١ م . وأشار إليه الجبرتي في خلال ترجمته للشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب « تاج العروس » . وقد مات الزبيدي مطعوناً في ذلك الوباء . وثانيها الطاعون الذى حدث سنة ١٢٠٦ هـ - سنة ١٧٩٢ وقد أشار إليه مؤرخنا في خلال ترجمته للشيخ محمد الصبان النحوى المشهور . أما ثالث الطواعين التى شاهدها العطار فهو الذى حدث في عهد الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ ، وقد وقع بمصر والشام ، وكان أسوأ نتائجه وأشد فتكاته بالصعيد . وينقل لنا الجبرتي المؤرخ وصفاً لهذا الوباء من رسالة بعث بها حسن العطار إليه من الصعيد حينما كان فاراً من وجه الفرنسيين في القاهرة . ولم يكتف الجبرتي بنقل هذه الرسالة الوصفية في تاريخه المشهور ، بل نقلها كذلك في كتابه الآخر « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين » الذى ألفه بالمشاركة مع حسن العطار . وتصف لنا رسالة العطار هجوم البلاء ، وإغلاق الأسواق ، وندرة الأكفان ، وكثرة الموتان ، وعدم وجود المغسلين والمكفنين وحاملي النعوش . . . . . وانشغال الناس بتجهيز الموتى ، وتردد صبيحات النائحين والباكين ، وتعطل بيوت الله من الأذان والمؤذنين ، وجفاف الضروع ، وتعطل الزروع ، وهبوب حصيد النبات بفعل الرياح لفقدان الحاصدين . . . . . ولا بأس هنا أن نذكر هذه الرسالة المؤثرة حيث قال مخاطباً صديقه الجبرتي : ( ونعرفكم يا سيدى <sup>(١)</sup> أنه وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ولم نسمع بمثله ، وخصوصاً ما وقع منه بأسىوط . وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقاً وغرباً ، وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله . وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد . وكان أكثره في الرجال ، سيما الشبان والعظماء وكل ذى منقبة وفضيلة ، وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت ومشييع ومريض وعائد !

حتى إن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قربه إلا بعد أيام . ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه ، فلا يوجد التعش ولا المغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة ، وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشی معه — أى يسير في جنازته — ما زاد على عشرة أنفار تكثرى ! ومات العلماء والقراء والمثقفون والرؤساء وأرباب الجرف . ولقد مكثت شهراً بدون حاق رأسى لعدم الحلاق ! وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان ، وأخذ في الزيادة في شهرى ذى القعدة والحجة ، حتى بلغ النهاية القصوى ، فكان يموت كل يوم من أسويط خاصة زيادة على السبائة . وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضاً أو مشغلاً بتجهيز ميت ! ولا يسمع إلا نائحة أو باكية ! وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة ، لموت أرباب الوظائف ، واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنازات والسبح والسهر . وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده . وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس ، هذا مع سعى العرب في البلاد بالفساد والتخويف ، بسبب خلو البلاد من الناس والحكام . . . إلى أن قال : ولو شئت أن أشرح لك يا سيدى ما حصل من أمر الطاعون للمأت (الصحف . . . .) ولقد لقي الفرنسيون من العنت في مكافحة هذا الوباء — وخاصة بالقاهرة حيث جموع جيشهم ورجال حملتهم — ما لم يغفله مؤرخو عهد الحملة ، وخاصة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي . كما كانوا يستعدون منذ حطوا رحالهم بمصر لمنع انتشار الأوبئة واتخذوا من وسائل الحيلة ما يذكره مؤرخنا في حوادث سنة ١٢١٣ هـ . ولقد أصدروا الأوامر والمنشورات مراراً ( بعدم الخلطة مع النساء المشهورات ، لأنهن الواسطة الأولى لتشويش الطاعون . . . )<sup>(١)</sup> فلما بدأ ظهور الوباء سنة ١٨٠٠ ( انزعج الفرنسيون من ذلك ، وجردوا مجالسهم من الفرش ، وكنسوها وغسلوها ، وشرعوا في عمل كرنيتيات — أى حجر صهي — ومحافظات . . . )<sup>(٢)</sup> ثم زادوا في وسائل المكافحة

(١) تاريخ الجبرتي — طبعة اللجنة ج ٥ ص ٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

فأمروا بحرق الثياب التي على أجساد الموتى من الوباء ، وحصل بذلك للناس انزعاج عظيم . ومن غرائب الاتفاق أن مراد بك المملوك المصرى فى عهد الحملة قد مات بالوجه القبلى على أثر إصابته بالطاعون . على أن عين الوباء لم تغفل عن الفرنسيين المعتدين : فقد روى الجبرى أنه كان يموت كل يوم من الفرنسيين المقيمين بالقلعة الثلاثون والأربعون<sup>(١)</sup> . ولم يدع مؤرخنا الفرصة تمر دون أن يصور لنا بقلمه الرشيق طريقة دفن الفرنسيين لموتاهم من الوباء<sup>(٢)</sup> .

ولقد وصف لنا حسن العطار الطاعون الرابع الذى حدث فى مدة حياته سنة ١٨٢٣ م ، وذلك فى نهاية باب التصورات من حاشيته المشهورة على شرح الخبىصى فى علم المنطق . وعهدنا بالعطار أنه يستطرد بذكر حوادث فى خلال موضوعات كتبه ومسائل مصنفاته . وهنا نراه يشير إلى ثلاث حوادث هائلة حدثت بمصر فى سنة ١٨٢٣ ، وهى المظر الشديد الذى هدم مواضع كثيرة وعطل الناس عن قضاء مصالحهم ، والحريق الذى حدث بمخازن البارود فى القلعة ، وأهلك خلقاً كثيراً ، وحيوانات وأمتعة ، وارتجت منه البلاد رجتين نتيجة لانفجار البارود . والطاعون الذى وصفه قائلاً<sup>(٣)</sup> : ( ثم جاء الطاعون ومات من أهل العلم جماعة ، ومرض البعض ، والبعض فر إلى بلاده ، وصار من بقى ما بين عائذ مريض ومشيح جنازة ومشغول بخدمة من مرض عتله . والأفكار تكسرت ، والهموم تكاثرت ، والأوهام غلبت . وكان معنا فى ابتداء إقراء الكتاب - يعنى حاشيته فى المنطق - جماعة كثيرة من أذكى الطلاب ، قلوا جداً ، وصارت أفكارهم لذلك الحادث غير قابلة للبحث فى غوامض المسائل المحتاجة لصفاء الفكر ، وعدم شغل البال . وفكرى أنا أيضاً كذلك ، لمرض عيالى ، وخوفى على أحبائى ، وحزنى على من مات منهم ، وإشفاقى على المتمرضين . أسأل الله سبحانه اللطف لى ولهم وللمسلمين . . . ) .

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٧ .

(٣) حاشية العطار على شرح الخبىصى ص ١٢٨ .

وإذا كان العطار في طاعون عهد الحملة قد وصف لنا الآثار المادية للوباء ، وصورها لنا في البيت والشارع والحقل ، والمقابر والجنازات والأسواق ، فإنه في طاعون سنة ١٨٢٣ قد صور لنا الحالة النفسية له ولطالابه . من أثر التمرض والتمريض والخوف والقلق والحزن على الموقى والإشفاق على المتمرضين . . .

ويعد حسن العطار بوصفه لطاعون سنة ١٨٢٣ م المؤرخ الوحيد له ، فلم تشر إليه تقارير العلماء والمؤرخين الأجانب المعاصرين لمحمد علي من أمثال البارون دي بوالكميت - وهود جسون ، ودوها ميل ، وبورنج<sup>(١)</sup> . كما لم يشر إليه اللواء محمد مختار « باشا » صاحب « التوفيقات الإلهامية » في حوادث سنة ١٨٢٣ ، بل اكتفى بالإشارة « للحرقة المهولة بالقلعة بمصر » فقد كانت « لشدها وشهرتها تؤرخ بها العامة مواليدهم<sup>(٢)</sup> ووفياتهم . . . »

على أن العطار لم ينفرد وحده في الأدب العربي بوصف الطاعون والوباء ، فقد سبقه إلى ذلك الشاعر الأديب عمر بن الوردى الذى ولد بالمعرة وتوفى بحلب سنة ٧٤٩ هـ ، فله رسالة في وصف طاعون حدث في عهده أسماها « رسالة النبا » ، عن الوبا » ، وقد حلاها بالمحسنات البديعية المزدحمة على طريقته في الكتابة ، ولكنه أبدع في وصف الوباء وطريقة انتشاره ، وكثرة ضحاياه<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان الله ينعم بالبلاء أحياناً ، فإن هذا القول ينطبق على طاعون عهد الحملة الفرنسية في مدينة عكا . فقد كان حدوث الطاعون بها من الأسباب التى حملت بونابرت على ترك محاصرتها . فقد كان يموت كل يوم من رجال عسكره خمسون وستون عسكريباً . ولا نستنتج نحن ذلك ، ولكننا نأخذ من كلام بونابرت نفسه الذى بعث به من عكا إلى الفرنسيين المقيمين بمصر . . . :

(١) بقاء دولة : للدكتور محمد فتواد شكرى وزميله ص ٥٩١ .

(٢) التوفيقات الإلهامية ص ٦٢٠ .

(٣) ديوان عمر بن الوردى - طبع الجوائب - ص ١٨٤ .

## ١٢ - العطار بين مادحيه وراثيه

يظهر تقدير الناس للمرء وهو حى بين ظهرائهم بمدحهم له وثنائهم عليه . فإن ألسنة الخلق أقلام الحق كما يقولون . ويظهر تقديرهم له بعد وفاته برثائه والتفجع عليه والتعداد لمحاسنه ومآثره . ولن نجد تقدير الرجال فى الأدب العربى إلا بين هذين . ولقد كان الشعراء فى عهد العطار قلة غير مجودة ، ولهذا لم نظفر عندهم بمدائح كثيرة له . وقد يكون مدحه جماعة من النظامين لم تصل إلينا قصائدهم لاعتبارات ، منها أن نظمهم لم يطبع ، وأن دواوينهم لم تنشر . ولقد أشرنا فى باب سابق من هذا الكتاب إلى الصلة بين العطار والشاعر بطرس كرامة اللبنانى ومدح هذا له ببعض الشعر الذى نشره فى ديوانه « سجع الحمامة » . على أن هناك من تلاميذ العطار نبع شاعر مشهور فى عصره هو محمد شهاب الدين الذى حاول أن يكون الشاعر الرسمى للدولة فى عهده ونجح فى هذا . وقد ظل هذا الشاعر الأديب وفيئاً لشيخه مدى حياته ، وعبر عن هذا الوفاء بمدحتين نشرنا فى ديوانه المطبوع سنة ١٢٧٧ هـ . ومدحة شهاب الدين الأولى للعطار ميمية القافية ، وقد جرى فيها على طريقته التقليدية فى الشعر ، وافتتحها بالغزل محاكاة للقدماء ، وتخلص من أبيات الغزل الطويل إلى صفة الممدوح قائلاً :

قلت يا ذا العذول دعى وجهلى	حسبك البر بحر فيض العلوم
مركز الفضل من غدا كل قطر	مستمدا من خطه المستقيم
شيخ كل الشيوخ مولى المولى	صفوة الأصفياء ، مزيل الهموم
«حسن» الذات والصفات جميعاً	مغضب المبغضين ، مرضى الخصوم
هو «عطارنا» الذى من شذاه	كان عطر الهدى ذكى الشميم !

ولاحظ هنا الصناعة اللفظية والحليات البديعية ومصطلحات العاوم والبديع فى قوله : البر : والبحر ، والفيض . وقوله : مركز ، وقطر . وخط مستقيم وهى

مصطلحات الهندسة ، والمناسبة بين عطار ، وشذا التي هي فوح العطور . . .  
أما مدحة الشهاب الثانية للعطار فقد نظمها حين تعصب عليه بعض  
الشيوخ لمسألة لم يذكرها لنا الشاعر الذي أطال في القصيدة ، وافتتحها أيضاً  
بالغزل وخلص إلى مدح العطار قائلاً :

هو في سماء العلم بدر كامل      ما إن يصاب تمامه بسرار  
هو في المعارف صاحب الحال الذي      يمتاز عند تنكر الأخبار  
هو في الزمان السعد والعز الذي      تعتز مصر به على الأمصار  
ولاحظ هنا أيضاً مصطلحات النحو في قوله : المعارف ، وصاحب الحال ،  
وتنكر ، وأخبار . . .

وهناك شاعر مصري مشهور في عصره اسمه على الدرويش ، وقد أدرك  
العطار ومدحه حينما كان شيخاً للجامع الأزهر بقصيدة رائية مثبتة في ديوانه (١) ،  
وقد جرى الناظم المادح هنا على طريقة أهل عصره في الافتتاح بالغزل والتخلص  
إلى المدح ، وملأ مدحته بالمحسنات البديعية والصنعة المتكلفة ، وخلص إلى مدح  
مدوحه قائلاً :

ورأى الأفاحي عطر ثغرك فانشني      متعجباً يشني على « العطار »  
يزهو على الأعصار عجباً عصره      وتثنيه مصر به على الأمصار

ولاحظ الشطر الأخير هنا فهو يكاد يكون بالفاظه الشطر الأخير من أبيات  
الشاعر شهاب الدين . على أن العطار الذي أقل الشعراء المادحون في مدحه هو  
العطار الذي أقل الشعراء الرثاؤون في رثائه . حتى القصيدة الطويلة التي رثاه بها  
تلميذه الشاعر شهاب الدين ضاعت من ناظمها ! فأثبت في ديوانه ستة أبيات  
فقط ممهداً لها بالعبارة التالية : ( وكنت قد رثيت العلامة الشيخ العطار — قدس

(١) ديوان الأشعار بحمد الأشعار للشاعر على الدرويش ص ١٣٨ .

سره—بقصيدة ضاعت مسودتها، وليس في مخيلتي سوى أبيات قليلة مطلعها قول :

سله أمانا فهو معطى الأمان      رب أمر حال دون الأمان  
بينما الإنسان يرجو بعيداً      إذ تداني منه داعي التداني  
لم تنزل آمالنا في ازدياد      مع أن العمر في نقصان  
والمنايا حكها في البرايا      بالبلايا دائم الجريان  
يا خليلي خلني وشجونى      إن ما بي من شجون كفى !  
كل شيء هالك جل ربى      فتدبر من عليها فاني<sup>(١)</sup>

على أن العطار — رحمه الله — أسعد حظاً في الرثاء من غيره من العلماء  
الأعلام الذين ماتوا ولم يرثهم أحد . فقد مات قبله بقليل العلامة المشهور السيد  
محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس المحيط ( فلم يرثه أحد من الشعراء )  
كما يروى لنا الجبرقي في تاريخه . . .

### ١٣ — العطار في تقدير الرجال

لقد تناول كثير من مؤرخي الأدب وكتاب السير الشيخ حسن العطار  
بالحديث عنه أو الترجمة له أو التعريف به . وجاء الحديث عنه إما أصلاً في  
صلب بحث أو مقال ، وإما عرضاً في خلال كتاب . ولم يظهر عن العطار  
منذ انتقل إلى جوار ربه دراسة قائمة بذاتها في كتاب مستقل خاص به . وبهذا  
كان كتابنا هذا أول كتاب مستقل يظهر في المكتبة العربية عن الشيخ حسن  
العطار .

ومن الكتاب والباحثين الذين كتبوا عن العطار من اكتفوا بعرض طرف من  
سيرته ، أو نتف من أخباره دون إبداء رأى فيه ، أو تقدير له ولمكانته في النهضة

الحديثة التي بدأت في القرن التاسع عشر . ومنهم من أضاف إلى الأخبار عنه رأياً فيه وتقويماً له . وسنعرض في هذا الفصل آراء الكتاب في الرجل منذ عصره حتى زماننا هذا . وأول من يصادفنا هنا المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي صديق العطار ورفيقه ، فقد قال في معرض ترجمته للشيخ محمد عرفة الدسوقي : ( وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له تتلمذ ، صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد الآن بالعلوم الحكمية ، والمشار إليه في العلوم الأدبية ، صاحب الإنشاء البديع ، والنظم الذى هو كزهر الربيع ، الشيخ حسن العطار )<sup>(١)</sup> . ويقول عنه أحد تلاميذه الأديب المصرى مصطفى بكري الساعاتى : ( . . . العالم المفرد ، والعلم الأوحده ، رب الشعر والقريض ، والفنون التى هى كالروض الأريض ، ذو التأليف الشائقة ، والتحقيقات الفائقة ، أوحده الفضلاء . . . المتفنن في علوم لا يعرفها إلا أفراد قليلة ، الحائز قصب السبق في مضمار كل فضيحة ، شيخنا بل وشيخ كل من نظم ونثر ، وقرأ العلوم وحرر ، أبو السعادات حسن ابن محمد الشهير بالعطار )<sup>(٢)</sup> . ويقول عنه تلميذه رفاة الطهطاوى : ( كان له مشاركة في كثير من العلوم ، حتى في العلوم الجغرافية . . . وكان يطلع دائماً على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية )<sup>(٣)</sup> . ويقول عنه على مبارك : ( إنه اشتغل بغرائب الفنون والتقاط فوائدها ) . أما مؤرخ الرجال للقرن الثالث عشر : الشيخ عبد الرزاق البيطار ، فيقول عنه : ( ولقد انفرد في علم الأدب ، وأجاد فيما نظم ونثر ، وأحاطت به الفنون إحاطة الحالة بالقصر . . . )<sup>(٤)</sup> . ويقول عنه مؤرخ الصحافة العربية فيليب طرازى : ( وقد خلف عدة تأليف في الأصول والنحو والبيان والمنطق والطب . . . وكان هذا الشيخ عالماً بالفلكيات ، وله في ذلك رسائل في كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المنتظر والمجيب والبساط . . . وكان يحسن عمل المزاول الليلية

( ١ ) الجبرتي ج ٤ ص ٢٣٢ .

( ٢ ) روضة المدارس - العدد ١٨ ص ٢٧ .

( ٣ ) مباحج الألباب المصرية ص ٣٧٥ .

( ٤ ) حلية البشر - ج ١ ص ٤٨٩ .



والنهارية ، وقد اشتهر أيضاً الشيخ العطار بفنون الأدب والشعر . . (١) . ويقول عنه الدكتور طه حسين وزملاؤه في تأليف « المنتخب » : ( . . وكان مع علمه كاتباً شاعراً بليغاً ) (٢) . أما الأستاذ محب الدين الخطيب فيصفه بقوله : ( وكان متضلعا في العلوم الرياضية ، فضلاً عن العلوم الشرعية والعربية ) (٣) . ويتحدث عنه مؤرخنا عبد الرحمن الرافعي في معرض ترجمته للشيخ رفاة فيقول : ( وكان الشيخ حسن العطار من علماء مصر الأعلام ، وامتاز بالتضلع في الأدب وفنونه والتقدم في العلوم العصرية : وكان هذا نادراً بين علماء الأزهر ) (٤) . ويصفه أستاذنا الشيخ أحمد الإسكندري وزملاؤه في تأليف « الفصل » بقولهم : ( هو العالم الكاتب الشاعر ، أكب على كتب الأدب فأصاب منها حظاً عظيماً ، وأجاد الشعر والنثر كليهما ) (٥) . ويصور الأديب خليل شيبوب تطلعات العطار واتساع أفقه بقوله : ( وقد جاب الأقطار الشرقية ، وعاد إلى مصر وفي عينيه آفاق جديدة : وفي فؤاده صور وعبر . فهو يحدث عن دمشق والقسطنطينية ، والجبال والصحراء ، والأودية والبحار ، ولكن نفسه لم تكن مستريحة إلى حال الحمول التي رأى عليها الشرق وأهله وخضوعهم إلى الحكام المستبدين ، وانصراف العلماء إلى المنفعة والمصالحة ) (٦) . . . . ويصفه الدكتور عبد الحميد يونس بقوله : ( وكان رجلاً شاعراً ناثراً مستنيراً اشتهر بغزارة علمه . . . ) (٧) ، وينتقد الأستاذ عمر الدسوقي تكلفه وتعمده للسجع في نثره ، ولكنه يحمل تقويمه بقوله : ( على أن الشيخ العطار — مع هذا — من أحسن كتاب عصره وشعرائه ديباجة ، وأقلهم تكلفاً ) (٨) . ويشيد المرحوم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

( ١ ) تاريخ الصحافة العربية ج ١ . ص ١٢٩ .

( ٢ ) المنتخب — لطه حسين وزملائه ج ٢ ص ٤٧٩ .

( ٣ ) كتاب : الأزهر — لمحب الدين الخطيب — ص ٣٧ .

( ٤ ) عصر محمد علي ص ٤٧٢ .

( ٥ ) الفصل لأحمد الإسكندري ورفاقه ج ٢ ص ٣٣٥ .

( ٦ ) عبد الرحمن الجبري — سلسلة نقرأ — لخليل شيبوب ص ١٠٧ .

( ٧ ) الأزهر — لعبد الحميد بولس وعثمان توفيق — ص ١٣٢ .

( ٨ ) في الأدب الحديث — لعمر الدسوقي — ج ١ ص ٤٨ .

بموقف العطار من الدعوة إلى العلوم العصرية فيقول : ( ولا شك أن موقف الشيخ حسن العطار من العلوم الرياضية بشكلها الجديد يدل على ما كان يمتاز به من مرونة عقلية ودينية ، وعلى أنه كان في هذا أحسن حالاً من أهل الأزهر الذين حاربوها بعده باسم الدين . . . )<sup>(١)</sup> ولكنه ينتقد موقف العطار الضعيف وصوته الخافت الذي لم يستطع الجهر به ، بل كان يرسله في مواضع مخبوءة من أحد كتبه في الفقه . أما الدكتور حسين فوزي النجار فيقدره بقوله : ( وكان العطار جواب آفاق ، محباً للأسفار . فساح في البلاد العربية ، وأقام في بعضها زمناً ، وارتحل إلى تركيا ولبث بها حيناً ، فأفاده الترحال قدرة على التأمل ، كما أفاده اتصاله بعلماء الحملة الفرنسية معرفة بسر نهضتهم وقوتهم . . . )<sup>(٢)</sup> .

ويخلص لنا الأديب الباحث سامي بدرأوى رأيه في العطار بقوله : ( والخلاصة أن الشيخ حسن العطار كان له موقف متكامل من مشكلات مجتمعه الثقافية والتعليمية والأدبية والسياسية . وقد حاول أن يشخص هذا الواقع ويحدد جوانب الضعف فيه ، كما نادى بضرورة تغييره ورسم برنامج هذا التغيير . وأخيراً أنه عهد بأمانة هذا التغيير ومستقبله إلى تلاميذه الذين يعتبر رفاعة رافع الطهطاوى نموذجهم الفذ الذي بلغت حركة العطار على يديه أوجهاً )<sup>(٣)</sup> . ويوجز لنا المستشرق كراتشكوفسكى تقديره للعطار بقوله : ( ولم يكن الشيخ حسن العطار عالماً فحسب ، بل وشاعراً أيضاً . . . )<sup>(٤)</sup> . ويحمل لنا المستشرق فولرز رأيه في العطار في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الأزهر ، فيقول : ( وكان العطار رجلاً مستتيراً ، اشتهر بعلمه ، وكان أيضاً شاعراً ناثرًا )<sup>(٥)</sup> .

هذا هو حسن العطار في تقدير جماعة من المؤرخين والعلماء والأدباء من

( ١ ) تاريخ الإصلاح في الأزهر ص ٢١ .

( ٢ ) رفاعة الطهطاوى - سلسلة أعلام العرب - ص ٦٣ .

( ٣ ) مجلة المجلة - عدد مارس سنة ٦٥ ص ٦٥ .

( ٤ ) حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى - ص ٢٦ .

( ٥ ) دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثانى - مادة أزهر ، ص ٦٥ .

أهل عصره ، ومن أهل زماننا . وسيمتد تقدير الرجل على مدى الزمان ، لأن  
تنبيه وتنبيهه إلى قيمة العلوم العصرية ، وإلى البعد عن الجمود قد آتى ثمرته ،  
وخاصة على يد تلميذه رفاعة الطهطاوى الذى كان رائد النهضة فى العصر الحديث .

## الفصل الثالث

### جوانب حسن العطار

#### ١ - احسن العطار الشاعر

أجمع الذين ترجموا للعطار أو تناولوه بشيء من الدراسة والتعريف على أنه كان شاعراً . ولا بد أن نضع الرجل في مكانه الصحيح من شعر ذلك العصر الذى عاش فيه . فلو أننا قسناه بمعايير زماننا وما طرأ عليها من تجديد في النظر إلى الشعر لظلمنا الرجل ظلماً بيناً . والحق أن العطار كان - كما لاحظ تلميذه الأديب الشيخ مصطفى بكري الساعاتي - ينحو في الشعر منحى أهل الأندلس في قصائدهم ، ولم يجد عن طريقته التي بها تفوقوا وانفردوا عن سواهم <sup>(١)</sup> . ولم يكن العطار في جريه على طريقة الأندلسيين مخالفاً لأهل عصره والعصر الذى سبقه . فإننا نلاحظ أن شعراء القرن الحادى عشر الهجرى والثانى عشر الهجرى كانوا يعارضون شعراء الأندلس في نظم الموشحات ، فالشاعر إسماعيل الطهورى المصرى الموسيقى الملحن والمتوفى سنة ١٢١٢ هـ عارض موشحة لسان الدين بن الخطيب <sup>(٢)</sup> . وقد سبقت الإشارة إلى موشحة العطار التي عارضها رفيقه الشاعر إسماعيل الخشاب بموشحة في ديوانه . كما أن له بعض موشحات روى طرفاً منها في كتابه حاشية العطار على الخبيصى ، صفحة ٢٥٧ .

ولم يكن العطار راضياً عن المستوى الذى هبط إليه الشعر العربى في عصره ، فقد عاب عليه هبوطه إلى المدح الكاذب ، حتى ترفع الشعراء الحقيقيون عن نظم المدائح وتجاؤوا بأنفسهم عنها ، لما فى ذلك من انحطاط القدر . ولقد صور لنا هو بقلمه هذه الظاهرة بقوله من رسالته الجلييلة إلى تلميذه الشيخ مصطفى

(١) مجلة روضة المدارس - عدد ١٨ ص ٣٦٩ .

(٢) تاريخ الجبلى - طبعة لجنة البيان العربى ج ٤ ص ٢٧٥ .

بكبرى : ( . . . ولما تعاطى الشعر بعض الحاملين . ليتوصل به إلى امتداح ما ليس حقيقاً بالمدح ، واستمناح ما استرشاح الماء من الصلبد أهون ما يطلبه منه من المنح ، تسفل قدره . وانحط أمره ، وتجاوى بنفسه عن نظم المديح ، كل ذى لب رجيج ، وطبع صحيح . لما رأى فى ذلك من الإزراء وانحطاط القدر ، وتحمل إثم الكذب ، والوقوف مواقف الدل ، وترقب بارق خلب المواعيد ، والطمع فى استرشاح الصم الجلاميد . . . )<sup>(١)</sup> .

ولقد كان فى حسن العطار رقة طبع ، وسلامة ذوق ، ورهافة حس ، فأثر شعر الغزل والنسيب والتشبيب . وعبر عن ذلك بقوله فى رسالته : ( وأنا أرجو أن لا يكتب إلا ما لطف من النسيب ، وعذب من التشبيب ) . وكان يضطر بعض الحين — بحكم الملابسات والظروف — إلى أن ينظم فى غير الغزل ، وخاصة فى المدح — كمدحه لمحمد على — ولكنه يعترف لنا فى رسالته ، بل يقسم بالله بأن غير النسيب فى شعره لم يكن يخطر إلا قسراً ! ( وإن أتيت بشيء منه فإنى معترف بأنى جئت شيئاً لأمراً ! )<sup>(٢)</sup> فكأنه كان مكرهاً على أن يركب من مراكب الشعر الصادق ما ليس من طبعه ، ويقول فى هذا : ( مكره أخاك لا بطل ) .

وإقلال العطار من شعر المديح إلا لضرورة قصوى — كالضرورة التى ألجأته إلى مدح محمد على — يدل على أصالة طبع هذا الرجل ، وصدق نفسه ، وترفعه عن طلب ما فى أيدي الناس ، وقد عبر لنا عن إعجابه بأبيات عمران ابن حطان التى قالها مخاطباً الفرزدق حين سمعه ينشد شعره فى المديح :

أيها المادح العباد ليعطى	إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم	وارج فضل المقسم العواد
لا تقل للجواد ما ليس فيه	وتسمى البخيل باسم الجواد

أما شعر الرثاء فما ركبته العطار إلا مجبراً بعد إلحاح من طالب لا يستطيع

(٣) مجلة روضة المدارس — عدد ١٩ — ص ٣٩٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨ .

دفعه إلا بإيجابته إليه ، كما قال في رسالته لتلميذ مصطفى بكري . على أنه في بعض مراثيه المأثورة كان فيه براعة الالتفات إلى صفات المراثي ، حتى ولو كانت موضع نقد من الناس . فقد كان السيد أبو الأنوار السادات معروفاً بالتعاضم والتفاخر في زمنه ، فلما مات نظم العطار في رثائه قصيدة استهلها بالإشارة إلى ما كان عليه من التعاضم والتفاخر ، فقال في الشطر الأول من مطلعها : سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر <sup>(١)</sup> ! ومن مراثيه الصداقة قصيدته في رثاء شيخه محمد عرفة الدسوقي التي يقول فيها :

أحاديث دهر قد أَلَمَّ فَاَوْجَعَا وحل بنادى جمعنا فتصدعا  
لقد ضال فينا البين أعظم صولة فلم يخل من وقع المصيبة موضعاً  
ولم يهج العطار إلا مضطراً في حالات نادرة ، ويصرح لنا هو بقوله :  
(وأما الهجاء فلم ينفق لي سوى أبيات وقعت عن سهو ، وقد لعبت بها — والله الحمد — أيدي الإزالة والحو) <sup>(٢)</sup> . وتراه هنا كالمعتذر عن هذا الهجاء ، ويحمد الله أن يد الإزالة قد محته . على أن الزمان الذي لا يضيع عنده شيء قد حفظ لنا بعض هجائه ، فهو يهجو شخصاً بقوله :

أني لأكره في الزمان ثلاثة ما إن لها في عدها من زائد  
قرب البخيل ، وجاهلا متفاضلا لا يستحي ، وتودداً من حاسد  
ومن البلية والرزية أن ترى هذى الثلاثة جمعت في واحد <sup>(٣)</sup> ...  
على أن موقف الفرنسيين من مصر والمصريين في أثناء حملتهم الغادرة قد حمل العطار على هجائهم بقوله :

إن الفرنسييس قد ضاعت ذراهمهم في مصرنا بين حمار ، ونخمار !

(١) تاريخ الجبرق — طبعة بولاق — ج ٤ ص ١٩٥ .

(٢) روضة المدارس ص ٢٨ .

(٣) الخط ج ٤ ص ٣٩ ، وكتاب الأزهر بين الماضي والحاضر ص ٩٧ .

وعن قريب لهم في الشام مهلكة يضيع فيها لهم آجال أعماراً (١)  
وطبيعة الشاعر الرقيق الأصيل عند العطار قد حملته على أن يتأثر بالطبيعة  
فيصفها ، وهو وصف فيه من الصدق والتأثرودة الملحوظ ما يدل على صفاء  
نفسه . ولا تزال تردد في سمع الزمان أبياته التي قالها في وصف بركة الأزبكية  
ومنها قوله :

بالأزبكية طابت لى مسرات      ولذلى من بديع العيش أوقات  
حيث المياه بها والفلك سابحة      كأنها الزهر تحويها السموات (٢)  
على أنه حين فر إلى أسيوط خوفاً من الفرنسيين لم يفقه أن يصور هذه  
العاصمة الجميلة بقوله :

سقى لأسيوط ذات الظل والشجر      ومربع اللهو واللذات والزهر  
منازل بصنوف العيش عامرة      يلهو التديم بها في مشتهى الوطر (٣)  
وحين أقام العطار بدمشق أخذت بقلبه غوطتها ومحاسنها ومتنزهاتها ، فقال  
يصفها من قصيدة طائية :

بوادى دمشق الشام جزى أنا البسط .      وعرج على باب السلام ولا تخطى  
عرائس أشجار إذا الريح هزها      تميل سكارى وهى تخطر فى مرط (٤)  
كساها الحيا أثواب خطر فدنرت      بنور شعاع الشمس والزهر كالقرط  
وقد نظم حسن العطار فى أغراض أخر ، فهو ينى فى بعض المناسبات ،

( ١ ) الجبرتي - طبع لجنة البيان ج ٥ ص ١٨ .

( ٢ ) روضة المدارس عدد ١٩ ص ٦ وإنشاء عطار ص ٦١ ، وبصرى فى القرن الثامن عشر

ص ٥١ ج ١ .

( ٣ ) إنشاء العطار - ص ٥٨ .

( ٤ ) الآداب العربية لشيوخ ج ١ ص ٥١ ، والخطط التوفيقية ج ٤ ، ومجلة المجلة عدد رقم ٩٩ .

كتهنته لنقيب أشراف القدس بعودته إلى النقابة بعد أن أبعد عنها ، فيقول :  
 الحمد لله على فضله قد رجع الحق إلى أهله  
 وآض روض الفضل ذاب بهجة من بعد ما أشفق من محله  
 قد يتساوى اثنان في منصب وإنما التفريق في سبله  
 ومفخر المرء بأفعاله لا بالذي قد مات من أهله (١)  
 وهو ينظم شعراً تاريخياً ينقش على قاعة الجلوس في بيت الأمير المماوك  
 محمد بك الأتقي يقول فيه :

شموس التهاى قد أضاءت بقاعة محاسنها للعين تزداد بالآلف  
 على بابها قال السرور مؤرخاً ساء سعاداتي تجدد بالآلتي (٢)

على أن أرق ما في شعر حسن العطار هو غزله الذي يقول في بعضه :  
 أعن المحب ثناك عنه وجيبه أم قد دعاك إلى البعاد رقيبته ؟  
 هجر الكرى لما هجرت ، وواصلت ه شجونه وازداد فيك نحيبه  
 لم يجن ذنباً في هواك ، وإنما قد كان بالهجران منك نصيبه (٣) ...  
 ويقول في بعضه الآخر :

إلى متى أشكو ولم ترث لي ؟ أما كفى أن رق لي عللي ؟ !  
 يا باخلا بالوصل عن عاشق بعسجد الأجفان لم يبخل  
 أنفق في حر الهوى عمره وعن أمانيه فلا تسأل !  
 على أنه في بعض مدائحه الشعرية القليلة كان يفتتح بالغزل تخلصاً إلى

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ .

(٢) تاريخ الجبرق - طبعة بلاق - ج ٤ ص ٢٨ ، وطبعة لجنة البيان ج ٦ ص ٣٢١ .

(٣) إنشاء العطار ص ٥٤ .



الملح كما فعل في مدحته لإبراهيم « باشا » .

وقد يبدو الغزل غريباً من عالم فقيه أصولي محقق كان شيخاً للأزهر ! ولكن ليس في هذا غرابة من واقع الأحداث والتاريخ . فالشيخ عبد الله الشبراوى كان شيخاً للأزهر في القرن الثاني عشر ، بل كان سادس شيوخه على ترتيبهم في تولي المشيخة ، ومع هذا له القصيدة الغزلية الرقيقة التي يتغنى بها في عصرنا هذا من أرق الحناجر الملائكية ، ومطلعها :

بحقك أنت المني والطلب وأنت المراد وأنت الأرب !  
ولي فيك يا ها جرى صبوة تحير في وصفها كل صب (١)  
وكان بعض شيوخ الأزهر المتزمطين يتغزل في شعره ، كالعلامة الشيخ محمد الأمير - أستاذ العطار - الذي يقول

أيها السيد المدلل ضاعمت في الهوى ضيعتي ، وأنسيت نسكي  
يا لك الله ! لا تمل لسوائى وتحكم ولو بما فيه فتكى !  
وانظر الحق في علو غناه كل شىء يحويه غير الشرك (٢) !  
وكالعلامة النحوى الشهير الشيخ محمد الصبان الذى يقول :

وحق صبح المحيا مع دجى الشعر وجنة الخلد مع راح الللى العطر  
ومقلة بفنون السحر قد كحلت وقامة رشحتها خمرة الخضر  
ما غير البعد عهدى في الغرام ولا نسيت ودأ مضى في سالف العصر (٣)

كما كان يتغزل بعض الشيوخ المتطرفين ، كالشاعر محمد شهاب الدين تلميذ صاحبنا العطار ، الذى شحن ديوانه بهذا الفن من الشعر ! فالعطار !

( ١ ) ديوان الشبراوى ص ٨ ، ٩ . وكتاب الأزهر بين الماضى والحاضر - ص ٦٥ .

( ٢ ) تاريخ الجبرى - طبع بولاق ج ٤ ص ٢٨٥ .

( ٣ ) تاريخ الجبرى - طبع لجنة البيان - ج ٤ ص ٢٠٧ .

لم يخرج عن نهج شيوخه الكبار في الغزل والنسيب ، كما لم يخرج تلاميذه المشايخ عن نهجه في الغزل ، وعلى رأسهم الشاعر شهاب الدين !

بقى أن نقول كلمة عن ديوان حسن العطار . ففي ديوان الخشاب إشارة إلى أن بقية موشحة العطار موجودة في ديوانه<sup>(١)</sup> . والجبرتي يقول في خلال ترجمته للشيخ شامل الطرابلسي إن قصيدة العطار في مدحه التي مطلعها :

انهض فقد ولت جيوش الظلام وأقبل الصبح سفير اللثام

مسطرة بديوانه<sup>(٢)</sup> . ويقول العطار عن نفسه : ( ضاع مني بدمشق كراس من ديوان الشعر )<sup>(٣)</sup> . ويقول الأب لويس شيخو : ( وله شعر رائع جمع في ديوانه ) . وينقل عنه فيليب طرازي هذه العبارة بنصها<sup>(٤)</sup> . وينقل هذا الكلام الأساتذة الزركلي ، وعمر رضا كحالة ، وعمر الدسوقي . ولكن الأستاذ المحقق أحمد الإسكندري يقول في المفصل : ( ولم يجمع شعره في ديوان خاص .. )<sup>(٥)</sup> . ونخلص نحن من هذه الأقوال التي تكاد تتعارض ، بأن ديوان العطار كان مجموعاً ، ولكنه ضاع بعضه في حياته — كما يقول هو — وضاعت بقيته بعد وفاته .

على أن حديثنا عن العطار الشاعر لا ينسبنا كلامه الدقيق الرقيق في الشعر والوزن . فقد جرى على رأى القائلين بعدم اشتراط الوزن في الشعر<sup>(٦)</sup> . كما أن كلامه في التأثير بالشعر وتأثيره وحمارية طبع القلب لا يتأثر يدلنا على مبلغ إحساس هذا الشاعر وشاعريته . وحسبنا أن نحيل القارئ على كلامه في هذا

(١) ديوان الخشاب ص ٣٤٥ .

(٢) الجبرتي — طبع اللجنة — ج ٥ ص ١٤٦ .

(٣) مجلة روضة المدارس ص ٢٨ عند ١٨ .

(٤) تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ١٢٩ .

(٥) المفصل ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٦) العطار على الخبيص ص ٢٥٧ .

الموضوع في كتابه أو حاشيته على كتاب المنطق<sup>(١)</sup>.

ولن نغيبّر سماء شاعرية العطار بمنظوماته في العلوم ! وخاصة في النحو فيمكن أن يرجع القارئ إليها في حاشيته على شرح الشيخ خالد في النحو ، وذلك ضروري لمن يريد أن يتوسع في جوانب النظم عند هذا الشاعر الرقيق<sup>(٢)</sup>

## ٢ - حسن العطار الناثر

يلفت حسن العطار نظرنا في تطور أساليب التعبير بهذا الكتاب الذي ألفه وأسماه كتاب « الإنشاء » وجعل همه فيه أن يضع نماذج - من قلمه - من المخاطبات والرسائل الإخوانية ، والخطب : والإجازات العلمية ، والكتابة الديوانية ، وشروط كتابة الوثائق والصكوك . فهر يضع دستوراً للكتابة في عصره ويعززه بالنماذج الكثيرة التي وضعها بقلمه هو . وهي محاولة تدلنا على مبلغ اهتمام الرجل بتطوير وسائل التعبير وأساليب الكتابة في عصره . كما تدلنا على أن الرجل أحس بأنه صاحب رسالة في هذا السبيل . ولا شك أن انحدار الأساليب ، وانحطاط الكتابة في أواخر القرن الثامن عشر حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م كان باعثاً للشيخ العطار على أن يجد لها من الرسوم ، ويجدد لها من المعالم ما تغدو به متطورة مع العصر . ولا نزعم أن العطار كان مجدداً بالمعنى المعروف في التجديد ، ولكنه كان شيخاً متنوراً أحس أن في طريقة الكتابة في زمانه ما يحتاج إلى تخطيط وترشيد . فوضع للمتأدبين وشدة الأدب نماذج في الإنشاء . على أن لا يقلدوها ويرددوها ، كما كان يقلد ويردد خطباء المساجد تلك الخطب المنبرية التي كانت مجموعة في مصنفات ، كخطب ابن نباتة مثلاً ! لا ! لم يرد العطار محاكاة عمياء ، ولكنه وضع بين يدي الطالب ما يعينه على

(١) المصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٢) تجد نماذج لهذا الشعر التعليمي في صفحات ٦ - ٣٤ - ٥٨ - ٨٥ - ٦٢ - ٧٠ -

٧٥ - ٨٧ من حاشية العطار على الأزهري .

تقويم عبارته ، وتحسين كتابته ، وإثرائها بالمثل الشرود ، والشعر المستشهد به ،  
والسجعة اللطيفة ، والفقر الطريفة ، حتى تكون ذخيرة للمتأدب يأخذ منها  
ما يريد حيث يريد .

وبالطبع لم يستطع العطار أن يخرج على رسوم عصره في الكتابة والنثر ،  
من حيث استعمال السجع ، ومحسنات البديع ، والحلى اللفظية . فهو في هذا  
نموذج لرجال العصر كله . إلا أنه تخفف كثيراً من هذه المحسنات والزخارف  
والأسجاع التي لم يكتب للنثر العربي الحديث التخلص منها إلا بعد أكثر من  
قرن كامل ، حيث ثار الشيخ محمد عبده ثورته المباركة عليها ، وتابعه الكتاب  
والمفكرون من بعده .

والحق أن العطار بحكم تنوره ، وصفاء ذهنيته ، وكثرة رحلاته وجولاته ، واتصاله  
بالفرنسيين ، وإطلاعه على كتب الغربيين المترجمة ، استطاع أن يتحرر من  
كثير من الأصفاد التي كانت تكبل الأقلام في ذلك الزمان . واستطاع أن يوازن  
باعتدال بين طرائق التعبير التي كانت سائدة في ذلك الزمان ، واستطاع أن يُنزل  
الكلام منازل رعاية لمقتضيات الأحوال . فتراه يسجع حين يكون السجع حلية  
في الكلام ومزية لا يستغنى عنها ، ولا يحلو إلا بها . . . وتراه يترسل ترسلًا  
واضحًا شائعًا حين لا يكون هناك معدى عن إرسال الكلام . . . ويبدو ذلك  
جليًا في استطراداته اللامعة الذكية التي كان يرسلها في حواشيه وكتبه من حين  
إلى حين . فحين لاحظ على شيوخ الأزهر إعراضهم عن كتب المتقدمين ،  
أخذ يلومهم في موطن من حاشيته المشهورة على «شرح جمع الجوامع» في أصول  
الفقه قائلاً في أسلوب مرسل دقيق: ( إن من تأمل في علمائنا السابقين يجد  
أنهم كانوا — مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية — لهم اطلاع عظيم على غيرها  
من العاوم والكتب التي ألفت فيها . حتى كتب المخالفين في العقائد والفروع .  
وأعجب من ذلك تجاوزهم إلى النظر في كتب غير أهل الإسلام من التوراة  
وغيرها من الكتب السماوية واليهودية والنصرانية . ثم هم — مع ذلك — ما أخلوا في  
تثقيف ألسنتهم برفائق الأشعار ، ولطائف المحاضرات . ومن نظر في ذلك ،

وفيما انتهى إليه الحال في زمان وقعنا فيه . علم أنا منهم بمنزلة عامة أهل زمانهم . فإن قصارى أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئاً من عندنا . وقد اقتصرنا على النظر في كتب محصورة ألفها المتأخرون المستمدون من كلامهم ، نكررها طول العمر ، ولا تطمح نفوسنا إلى النظر في غيرها : حتى كأن العلم فيها !... (١) .

ومن استطرادات العطار المرسلة في غير سجع ولا تكلف قوله في الحريق الذي حدث بالقلعة سنة ١٨٢٣ : ( . . . ) والحريق الذي بالقلعة وبها أمكنة فيها بارود ، فهدم البارود معظمها ، وأهلك خلقاً كثيراً وحيوانات وأمتعة . وارتجت منه مصر مرتين ، مرة بعد المغرب ، والثانية في أول الساعة الخامسة ، بل تحدث الناس بوصول هذه الرجة إلى القرى البعيدة . وعجز الناس عن إطفاء النيران تلك الليلة . ثم في اليوم الثاني تكاثرت الدوة والناس وأخذوا في إطفائها ، وقد استمرت ليلتين ويومين ، ولولا لطف الله وعنايته ورحمته بالأمة المحمدية لهلكت مصر برمتها وأهلها ، بل وتعدى ذلك إلى كثير من القرى ، كما أخبر بذلك أهل الخبرة (٢) .

ورسالة العطار التي وصف بها الطاعون في الصعيد وبعث بها إلى الجبرتي المؤرخ هي نموذج آخر لهذا النثر المرسل الذي كان يرسله الرجل بلا تكلف ولا قيود (٣) . والواقع أن الرجل كان يتحرر من السجع والمحسنات والزخرف في رسائله الخاصة أو استطراداته في كتبه . أما الرسائل التي وضعها في كتابه ( الإنشاء ) على أنها نموذج للنثر ، فقد تعتمد فيها السجع والحلية ، كما ذهب في بعضها أحياناً مذهب التكلف . وتمثل رسالته التي جعلها ( لكاتب بليغ ) لوناً من صناعته البيانية في أدب الرسائل . فقد جعلها نموذجاً لما يكتب إلى كاتب بليغ . كما جعل نماذج لما يكتب ويرسل إلى رجال القضاء وشيوخ الطرق ، والأمرء والقواد ، والولاة . ونسوق هنا بعض رسالته إلى « كاتب بليغ » ومنها نستخرج

( ١ ) حاشية العطار على شرح جمع الجوامع - ج ٢ - ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

( ٢ ) حاشية العطار على شرح الخليصى - ص ١٣٨ .

( ٣ ) انظر هذه الرسالة قبل هذا في الفصل الذي عنوانه : وصاف الأوبئة .

قواعد طريقته في الكتابة الإنشائية : (سلام عاطر الأردن ، تحمله الصبا سارية على الرندي<sup>(١)</sup> والبان ، إلى مقام حضرة المخلص الوداد ، الذي هو عندى بمنزلة العين والفؤاد ، صاحب الأخلاق الحميدة ، حلية الزمان الذي حلّ بها معصمه وجيده ، الذي موصول إحسانه بكل فضل عائد ، كنز المعارف عقد درر الفوائد ، الذي إذا أجرى أقلامه في ميدان الطروس . أودع فيها من لآلى البيان ما يفعل بالنفوس ، فعل حميا الكؤوس ، من معان حيرت المعاني ، وفعلت بالألباب ما لا تفعله المثالث والمثنائ . . . ) . ولا نجد أصدق حكماً على أسلوب العطار مما قاله الأديب سامى بدرأوى : ( ويغلب على أسلوب العطار البساطة والسهولة والحرص على الفكرة ونقلها إلى القارئ . فالأسلوب عنده مجرد وسيلة للتعبير وليس غاية في ذاته . ومع ذلك فهناك في بعض كتابات الرجل السجع والمحسنات البديعية عموماً . ومن غريب الأمر أن ذلك يكثر حيث يقصد الرجل إلى الإنشاء الأدبي ، أو الكلام في فلسفة الأدب ، ويقل في مؤلفاته العلمية حيث يسهل أسلوبه : ويسلس حتى ليوشك أن يكون معاصراً<sup>(٢)</sup> . وهذه النتيجة التي انتهى إليها هذا الأديب الذي اهتم بالعطار هي أقصى ما يمكن أن نصبل إليه من نتائج صحيحة حول نثر العطار .

ولا يقال إن العطار كان ذا شخصية مزدوجة في كتاباته ، فالرجل بسيط سهل في تعبيره ، وهو مترسل قريب الأداء ، ولكنه جعل كتابه في ( الإنشاء ) نموذجاً لعشاق الأسجاع والمحسنات ، حتى يكونوا من تعبيراتهم على أسلوب سواء .

### ٣ - الفلكيات وعالم الفلك

لقد جمع حسن العطار إلى شهرته في العلوم الشرعية والشعر والكتابة شهرة في الاشتغال بالعلوم الفلكية . ولم يكن مجرد مطلع عليها ، بل كان متمكناً

( ١ ) الرندي نبت طيب الرائحة ، والبان شجر معتدل القوام .

( ٢ ) مجلة المحلة عدد ٩٩ .

منها ، متعمقاً فيها ، مشتغلاً بالآلاتها ، عاملاً فيها . ويذكر لنا أحد مترجميه ( أنه كان عالماً بالفلكيات ، له في ذلك رسالة في كيفية العمل بالأسطرلاب : والربيعن المقنطر والمحبيب والبساط : وكان يحسن عمل المزاويل الليلية والنهارية )<sup>(١)</sup> . ولم يكن الاشتغال بالفلك وعمل المزاويل غريباً على مشايخ ذلك العصر . فالجبرتي المؤرخ يذكر لنا كيف كان والده الشيخ حسن الجبرتي متمكناً من علوم الفلك ، وكيف قصده والي العثماني أحمد « باشا » كور بعد ما سمع عن علمه ليطالع عليه كتب الفلك والحساب ، وليشتغل عنده برسم المزاويل والمنحرفات حتى أتقنها<sup>(٢)</sup> . كما يذكر لنا مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي في وفيات سنة ١٢٠٣ هـ وفاة العالم الماهر الشيخ مصطفى الخياط الذى برع في التوقيت وحل الأزياج وتحويل السنين ومظنات الكسوف والخسوف ، واستخراج أوقاتها وساعاتها ودقائقها ، مع الضبط والتحرير وصحة الحدس ، وعدم الخطأ ( وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ، ومواقع التواريخ : وتواقيع القبط والمواسم والأهاة ، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة ، وينقل منها نسخاً كثيرة يتناولها الخاص العام ، يعملون منها الأهاة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والبرانية والتواقيع والمواسم وتحاويل البروج وغير ذلك )<sup>(٣)</sup> .

وكان العلماء في ذلك العصر لا يكتفون بمطالعة مصنفات الفلك ، بل يذهبون خطوة أبعد في التطبيق العملي . فقد كان للشيخ أبى عبد الله التاودى عالم المغرب ولدان أحضرهما معه إلى مصر ، ثم تركهما فترة من الزمن في رعاية الشيخ حسن الجبرتي والد مؤرخنا ، وكانا رفيقين لعبد الرحمن المؤرخ ، ومعهم الشيخ أحمد السوسى ، وسالم القيروانى ، ويحدثنا المؤرخ عن ذكرياته معهم قائلاً : ( فكنا نطالع معهما سوياً ، ونسهر غالب الليل ، نراعى المطالع والمغرب ، وممرات الكواكب بالسطح حذاء خيمت المساترة ، ونراجع الشيخ — يريد والده

(١) تاريخ الصحافة العربية - لفيليب طرازى - ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) الجبرتي - طبع اللجنة ج ٢ ص ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١١٥ .

الجبرتي الكبير — فيما يشكل علينا فهمه ، وهو معنا في ناحية أخرى . . . (١) .  
وقد أتيح للشيخ حسن العطار أن يطلع على آلات الفلك والرصد عند  
الفرنسيين ، كما اطلع عاينها صديقه وصفه المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي . وإذا  
كان الجبرتي قد وصف لنا — بعد معاينة وخبرة — الآلات الفلكية عند الفرنسيين ،  
المتقنة الصنع ، وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب ، العالية الثمن ،  
المصنوعة من الصقر الموه ، والنظارات لانظر في الكواكب وأرصاها ، ومعرفة  
مقاديرها وأجرامها ، وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها (٢) — فإن حسن العطار  
أيضاً يذكر لنا في مقامة له أنه اطلع عند الفرنسيين على كتب كثيرة في العلوم  
الرياضية والأدبية ، كما اطلع على آلات فلكية وهندسية (٣) .

وإذا كان عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ المشتغل بالفلك قد حزن وأسف أشد  
الأسف عندما ثار العامة بمصر على الفرنسيين وخاصة على الميسو ( كفريلي )  
الذي كان يسكن في بيت مصطفى كاشف طرا ، فنهبوا الدار ، وقتلوا بعض من  
بها من الفرنسيين . وكان مما نهب وحطم كثير من آلات الصناعة ، والنظارات  
الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية مما هو معدوم النظير ، وكل آلة من هذه  
الآلات لا يعرف قيمتها إلا من يعرف صنعها ومنفعتها — إذا كان الجبرتي قد  
أسف لذلك الحادث الذي كانت نتيجته تحطيم عدد من تلك الآلات الثمينة ،  
فلا شك أن العطار لم يكن أقل منه أسفاً ، لأنه كان أدري بقيمة هذه الآلات ،  
وما تقدمه للعلم من منافع .

#### ٤ — الاهتمام بالدراسات الأدبية

استطاع العطار أن يكتسب صفة الأديب بالإضافة إلى صفة العالم الفقيه .  
والحق أنه كان على تمكنه في علوم الشريعة وأصول الفقه والتوحيد ذا ميول أدبية

( ١ ) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

( ٢ ) المصدر نفسه ص ٣٥٠ .

( ٣ ) المجلة عدد ٩٩ .



واضحة . فلم يكن فيه تزمّت الشيوخ وتنطع الفقهاء ، وجمود علماء الشرع . بل كان شيخاً رحب الأفق ، لطيف الحس ، رقيق الذوق ، وكان له مجال واسع في كتب الأدب والأسماء والمحاضرات والأشعار . ولم يكن يرى أن الأدب من علوم البطالة ، وموضوعات الفراغ . ولكنه رأى الأدب ضرورة لترقيق النفس ، وإرهاف الحس ، وسلامة الذوق ، وصحة الحكم . وهو بهذا أسبق الشيوخ الذين وجهوا الاهتمام بالأدب في الأزهر وجهة جديدة . ولم يكن العصر حينذاك يسمح للعتار أن يجرؤ على تعديل برامج التعليم في الأزهر وإدخال بعض المواد الحديثة ، فقد كان الخروج على المألوف حينذاك جريمة لا تغتفر . ولكن العطار استطاع برفق أن يدخل فن الكتابة في دروسه بالأزهر ، وفن الكتابة — كما يقول هو — يجرى من العلوم الأدبية بجرى الثمرة من الدوح<sup>(١)</sup> . وفتح بيته لرفاعة الطنطاوى ليتلقى عنه دروساً في الأدب والتاريخ<sup>(٢)</sup> والجغرافية .

وإذا كان العطار لم يعط في الأزهر دروساً في الأدب والشعر ، مخافة أن يصدم شعور قوم كانوا ينفرون من أمثال هذه الفنون التي كانوا يعدونها بدعة ، فإنه استطاع برفق ولباقة كذلك أن يوعز إلى تلميذه الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، المدرس الشاب الحديث عهد بالتدريس في الأزهر ، بأن يعطى دروساً في الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب . ولعل العطار بهذا الإيحاء والإيعاز إلى تلميذه الطموح كان يحس نبض الشيوخ ، ويحس نبض المحافظين على وجه العموم . وبفضل هذا التوجيه الأدبي من الشيخ حسن العطار إلى تلميذه محمد عياد الطنطاوى استطاع الإصلاح في الأزهر أن يسجل أول حركة في الدراسات الأدبية والشعرية في صحن الجامع الأزهر .

والواقع أن الأزهريين فوجئوا حين رأوا شيخاً شاباً — هو عياد الطنطاوى — يترك التدريس في كتب الحديث والفقه ، ويختار للتدريس ميداناً آخر لم يألفه الشيوخ ، وهو تدريس مقامات الحريري ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وقراءة

(١) الإنشاء — حسن العطار — ص ٢ .

(٢) حلية الزمن : لصالح مجدى بك ص ٢٥ .

شرح الزوزنى للمعلقات (١) .

على أن هذه القراءات الأدبية الشعرية قد سبقتها دروس فى فن الإنشاء والكتابة كان يلقيها الشيخ حسن العطار نفسه على طلبته بالأزهر . وفى هذه الدروس بعد بهم الشيخ عن مسائل الفقه ومناقشاته واعتراضاته إلى حكايات وطرائف ومحاضرات ، ونوادير أدبية ، وشواهد شعرية ، ولطائف فقرات ، وما يتبع ذلك من كنايات وأمثال . وقد كان كثير من الطلاب يفرون من دروس الفقه الجامدة ، ودراسات الأصول الجافة إلى حلقات العطار التى كانت أشبه بالندوة الأدبية المتشعبة الأطراف .

ولقد فتح العطار عيون الأزهرين على ذخائر من التراث الأدبى عند العرب . ففى خلال بعض حواشيه ، حتى فى المنطق والنحو ، كان يهدى طلابه إلى مثل كتاب « الأغاني » لأبى الفرج الأصبهاني وإلى ما فيه من روائع الشعر الذى يعد ميراث العرب الباقي . وتراه فى حاشيته على شرح الخبىصى يشيد بالشعر ثم يتطرق إلى التوصية بقراءة « الأغاني » قائلاً فى نص عبارته : ( وشجعان العرب فى الحروب تتمثل بالأشعار ، وتلقى نفسها عند ذلك فى مهالك الأخطار ، فلا تبالى بمواقع السيوف ، ولا بوارق الختوف ؛ وفى جميع ما ذكرناه حكايات ونوادير شحنت بها الكتب والدفاتر ، ومن أراد الاطلاع على غرائب هذا الباب فليطالع كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني ، وهو كتاب جليل كبير يحتوى على عشرين مجلدة . . . ) (٢) .

أرأيت كيف انقطع عهد الناس بالأدب والشعر خلال ثلاثة قرون من الحكم التركى . وضاعت معرفتهم — حتى الشيوخ والعلماء منهم — بكتاب مثل كتاب الأغاني : ثم يبيح الشيخ حسن العطار فينادى بأعلى صوته على هذا الكتاب وعلى أضرابه من كتب الأدب والشعر التى ترهف الإحساس ، وتلطف الشعور ؟ .

وحين كان الجبرتي المؤرخ وصديق العطار يرى الاشتغال بمسائل الفقه

(١) حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى — ص ٣١ .

(٢) حاشية العطار على شرح الخبىصى ص ٢٥٨ .

وعلم الشرع أبني ثواباً ، وأحسن مآباً ، كان العطار يرد عليه : ولماذا ؟ ما دام الدين مصوناً متبوعاً ؟

الحق أن العطار كان موجهاً إلى الدراسات الأدبية بإيحاءاته إلى تلميذه محمد عياد الطنطاوي المدرس بالأزهر أولاً ، وبدروسه في الإنشاء والكتابة الأدبية ثانياً ، وبالروح العامة التي خلعها على مجالس الأدب في أوائل القرن الماضي ثالثاً ، وهي روح أضفت عليه من صفات الشعر والأدب فوق ما أضفته عليه من صفات العلم والفقه . حتى ليعد أحد ثلاثة كانوا أشهر شعراء وقته في أول القرن التاسع عشر ، وهم : السيد إسماعيل الحشاش ، وحسن العطار ، والسيد علي الدرويش . ومن عجب أن هذا العالم الأزهرى الأصولي الفقيه لا يعد في علماء ذلك العصر قدر ما يعد في شعرائه وأدبائه .

إن مشيخة الأزهر لم تصنع من حسن العطار شيئاً غير العمل الرسمي الرتيب ، أما الشعر والأدب فقد صنعنا من العطار كل شيء . . . كما صنع تلميذه الطنطاوي من الأدب حلقات جديدة في الأزهر لم يكن له بها عهد من قبل . . . ويكنى العطار فضلاً أنه هو الذي وجه تلميذه رفاة الطهطاوي إلى دراسة الأدب . ففتح ذلك ذهنه إلى البحث والتفكير ، وأعد له رسالة القيام بالنهضة الحديثة التي تولاه رفاة على أحسن الوجوه . . .

## ٥ - المنبه لحركة الإصلاح

لعل صوت حسن العطار هو أول الأصوات العربية التي انطلقت من داخل الأزهر منادية بتغيير كتيبه وإصلاح برامجهِ وإدخال العلوم العصرية فيه . وقد سبقه إلى ذلك صوت مسلم غير عربي هو المرحوم أحمد « باشا » كور الوالي العثماني بمصر ، الذي شعر بنقص التعليم في الأزهر ، واهتمام أهله بتحصيل الفقه والمعتول وعلوم الوسائل كالنحو والصرف والمنطق ، ونبتهم لعلوم المقاصد - كالعلوم الرياضية - مع ضرورتها لتقدم الأمم وقوتها . ولا يلام أحمد « باشا »

كور على أنه اكتفى بإرسال هذه الملاحظة على علوم الأزهر ، ثم اكتفى آخر الأمر بالتقائه بالعالم الرياضى الفلكى الشيخ حسن الجبرى يتذاكر معه علوم الرياضة والفلك ويتعلم معه عملياً صنع المزاول . . . فما كان ينتظر من مثل هذا الوالى التركى أن يفعل للأزهر أكثر من هذا ، ونخصوصاً أن اهتماماته بالعلوم الرياضية كانت اهتمامات شخصية لم ترتفع إلى مستوى المصلحة العامة للمسلمين . ولا يلام كذلك الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر فى عهد ولاية أحمد « باشا » كور على مصر لإهماله أمر إصلاح الأزهر ونكوصه من إدخال بعض العلوم العصرية فيه : فإن الجو لم يكن مهياً فى ذلك الحين لإخراج فكرة الإصلاح إلى حيز التنفيذ .

وقد حدثت حادثة أحمد « باشا » مع شيخ الأزهر الشبراوى قبل مولد الشيخ حسن العطار بعشرين عاماً أو تزيد قليلاً . ولا شك أنها كانت تتردد سيرتها بين جنابات الأزهر لما فيها من طرافة وغرابة . ولا شك أن العطار سمع بها وهو طالب بالأزهر أو وهو مدرس فيه . ولا شك أنها أثرت فى نفسه ، كما أثر فيها اتصاله بالفرنسيين واطلاعه على كتبهم ، وآلات معاملهم : وأجهزة أرصادهم . ومن هنا قامت فى نفسه المتحركة المتطلعة عوامل التنبه نحو إصلاح الأزهر ، بل إصلاح البلاد جملة . وما أصدق على مبارك وهو يتحدث عن حسن العطار قائلاً : ( واتصل بناس من فرنساوية ، فكان يستفيد منهم الفنون المستعملة فى بلادهم ، ويفيدهم اللغة العربية ، ويقول : إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها . . . ويتعجب مما وصلت إليه تلك الأمة — يعنى الفرنسية — من المعارف والعلوم ، وكثرة كتبهم وتحريرها ، وتقريبها لطرق الاستفادة ) . (١)

وما تحمل عبارة رائد من الإيمان والقوة والتطلع مثل ما تحمله عبارة حسن العطار التى يقول فيها « إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من

المعارف ما ليس فيها». ولقد كان الرجل أشجع الشيوخ بل أشجع المصريين جميعاً حين نادى بهذه العبارة التي انتبه لها الوالى محمد على حين ألقت إليه الأقدار حكم البلاد. ولا شك أن محمد على كان يسير على ضوء هذه العبارة فيما أحدثه بمصر من نهضة تعليمية ، وفيما استحدثه من نظام البعثات التعليمية التي أوفدها إلى الخارج - وخاصة فرنسا - حتى يساعد أعضاؤها - حين إتمام دراستهم هناك - على ( تغيير أحوال البلاد ، وتجديد المعارف التي ليست فيها ) وفقاً لتوجيهات حسن العطار ورغباته في إصلاح البلاد .

وإذا كان حسن العطار لم يوفق في إصلاح الأزهر وبرامجه وخطط الداسة فيه كما كان يريد ، فإنه قد رزق حظاً كبيراً من التوفيق في الدعوة إلى إصلاح التعليم بالبلاد كلها ؛ فالمدارس العالية الفنية التي أنشئت بمصر في ذلك العهد - كالمهندسة والطب والصيدلة والألسن - هي الاستجابة الحقيقية لدعوة حسن العطار وتطلعاته ومناداته بجمعية تغيير الأحوال في البلاد . والكتب التي ترجمت بالمئات في عصر محمد على هي الصدى المحقق لأمنية حسن العطار حين رأى كتب الفرنسيين في الرياضة والعلوم والآداب . وإذا كان رفاة الطهطاوى صاحب فضل كبير ويد طولى في حركة ترجمة الكتب في عصر محمد على ، فإنه بلا شك قد تأثر في هذا بآراء شيخه العطار ، وسمع منه قوله : ( ومن سمى به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات ، وعجائب المصنفات ، انكشفت له حقائق كثير من دقائق العلوم ، وتنزهت فكرته إن كانت سليمة في رياض الفهوم ) (١) .

والعلوم التي يقصدها العطار ليست علوم الشريعة وعلوم الأزهر التي فقد الرجل ثقته بها ، وإنما هي علوم الفرنسيين التي شاهدها هو والجبرتي وغيرهما من العلماء في وقت الحملة الفرنسية ، ثم واثته الفرصة بأن يؤكد لمحمد على ضرورة إرسال البعوث العلمية في طلبها ، ولم يكتف بهذا بل أوصى الوالى محمد على بأن

يعين لإمامة أعضاء البعثات في باريس تلميذه وصفيه رفاعه الطهطاوى ، الذى عين ناظراً لمدرسة التاريخ والجغرافية التى أنشئت سنة ١٢٥٠ هـ ، فناظراً للمدرسة الألسن التى أنشئت بعد ذلك بعام واحد<sup>(١)</sup> .

ولابد هنا من الإشارة إلى أن مطامح حسن العطا نحو التقدم العلمى والإصلاح بمصر لم تكن تنبؤات كما يذكر أحد المؤرخين المعاصرين<sup>(٢)</sup> . وإنما كانت توجيهات وتنبهات . وفرق كبير بين التنبؤ والتنبيه ، فإن التنبيه يدل على الإيجابية من صاحبه . ولم يقصر العطار عن أن يكون إيجابياً في دعوته . فحين عجز عن تدريس كتب العلم الحديث في الأزهر كان يختص نفرأ من تلاميذه الأذنين ليقراً لهم كتب التاريخ والجغرافية والأدب وهى محظورة في الأزهر . ويؤكد لنا هذه الحقيقة مرة أخرى ما نصادفه في كلام على مبارك عن رفاعه الطهطاوى حيث يقول : ( وكان له — رحمه الله — منزلة خاصة عند الشيخ حسن العطا ، فكان يشترك معه في الاطلاع على الكتب الغربية التى لم تتداولها أيدي علماء الأزهر )<sup>(٣)</sup> .

والذين ينسبون كثيراً من الفضل إلى محمد على بما استحدثه من نظام البعثات العلمية إلى أوروبا على غير مثال سبق في الحكومات الشرقية ، ويزعمون له العبقرية في هذا الصنيع : ينسون فضل الشيخ حسن العطار في توجيهه محمد على إلى هذا السبيل . فقد كان مقرباً منه ، وكان الوالى يثق فيه ، ويطمئن إليه ، ولا شك أنه سمع منه كثيراً ترديده لنخمة تجديد المعارف وتغيير أحوال البلاد ، وقوة المعرفة الفرنسية وغزارتها ، فالتقط محمد على بذكائه هذه الفكرة وحورها بأن جعل الطلاب المصريين ينتقلون بجملة إلى ديار العلم بأوروبا — وخاصة فرنسا — ليرثقوا العلم من مناهله .

وإذا كانت الوثائق الرسمية تغفل دائماً فضل أصحاب الفضل من غير الحكام ،

( ١ ) تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد على ص ٣٩ .

( ٢ ) المصدر نفسه ص ١٢١ .

( ٣ ) المخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٥٤ .

وتحججهم حتى تفسح المجال لظهور الولاة والحاكمين ، فإن دلائل الأحوال ، وشواهد الأقوال تدل على أن فضل الشيخ حسن العطار في هذا السبيل لا يحجبه نكران ، ولا يطمسه نسيان . . .

## ٦ - منهج في التأليف

يمتاز الشيخ حسن العطار بمنهج في التأليف يبدو واضحاً في كتبه الكثيرة التي كان أكثرها حواشي وشروحات وتعليقات على كتب أزهرية مشهورة متداولة بين أيدي الطلاب . فما تميز به الشيخ هذه الدقة في التعريفات ، بل الدقة في كل عبارة يقولها . ولعل هذه الدقة جاءت من عقليته المنطقية المنظمة التي ظهرت في اهتماماته بشروحه على كتب المنطق وحواشيه عليها ، وخاصة حاشيته على شرح التهذيب : والتهذيب هو المختصر الذي ألفه العلامة سعد الدين التفتازاني في المنطق . ففي حواشيه وتعليقاته الثمينة نراه واقعاً للمؤلفين الأصليين بالمرصاد ، يصحح أوهام عباراتهم ، ويحدد معاني ألفاظهم تحديداً دقيقاً . فإذا قال النحوي الشيخ خالد الأزهرى مثلاً أن ( الألف ) من الحلق ، عقب عليه العطار قائلاً : إن هذا القول فيه تسميح ، لأن الألف من الجوف . . . وإذا قال الشيخ خالد إن اسم الفعل من أجزاء الكلام التي يتركب منها ، وهي الاسم ، والفعل ، والحرف ، استدرك عليه العطار موضحاً بأن اسم الفعل قد يكون ماضياً ، مثل هيأت بمعنى : بعد ، ومضارعاً ، مثل : أف بمعنى : أتوجع ، واسم فعل أمر ، مثل : صه : بمعنى : اسكت <sup>(١)</sup> .

ويميل العطار فوق دقة التعريف إلى النظرة الموسوعية في مصنفاته ، أو إلى الشمول والإحاطة في المسائل ، بدلاً من الاختصار والاقتصار . فإذا قال نحوي بأن التنوين أربعة أقسام : تنوين التمكين - وتنوين التنكير ، وتنوين المقابلة : وتنوين العوض -- عقب عليه العطار قائلاً بأن ( أقسام التنوين عشرة : ونحز

(١) حاشية العطار على شرح الأزهرية ١٤ - ١٥ .

نتم لك البقية إجمالاً . . . ) ثم يأخذ في حصر بقية أقسام التنوين (١) .

وإذا ذكر أحد النحاة اسم ( أحمد ) على أنه علم ممنوع من الصرف لم يكتب الشيخ حسن العطار بهذا بل يزيد في التعريف فيقول إن اسم أحمد لم يتسم به أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم : وأما « محمد » فقد تسمى به قبله جماعة قليل إن عددهم أربعة عشر . أو خمسة عشر (٢) . فهو هنا لا يحصر نفسه في دائرة النحو والعلل النحوية ، بل ينطلق إلى معارف من التاريخ والأدب وغيرها .

ولا يقف العطار في مصنفاته وحواشيه وشروحه عند حد التقرير والتفسير ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى التعقيب على المؤلفين وتصويبه لهم . ففي المنطق إذا أهمل مؤلف مثلاً لفظة « فقط » استدرك العطار عليه منادياً بضرورة إضافة هذه الكلمة حتى يكون مفهوم الجملة كلها أدق (٣) . . . وتراه يناقش العلماء في نصوص عباراتهم بما يجعلها أقرب إلى الدقة التامة . كما ناقشته لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٥ هـ في شرحه لإيساغوجي في المنطق (٤) . وهو في حواشيه لا يسكت على الأخطاء النحوية واللغوية التي قد يقع فيها المصنفون سهواً أو لبعض الاعتبارات . فإذا قال شارح التهذيب في المنطق بأن ( القضايا الموجهة التي يبحث عنها وعن أحكامها من العكس والتناقض خمسة عشر . . . ) وقف له حسن العطار بالمرصاد يعلق على صيغة العدد هنا قائلاً : ( لا يخفى أن المعدود هنا مؤنث ، وهو « قضية » ، فكان يجب تجريد « خمسة » من التاء ، لأنها تجري على خلاف القياس ، ويجب إلحاق التاء لعشر لأنها عند التركيب تجري على القياس . . . ) (٥) ثم يعود العطار فيلتبس تحليلاً لهذا الخطأ في صيغة العدد قائلاً : ( وقد يوجه إلحاق التاء بخمسة هنا ، بأن المعدود محذوف ) .

( ١ ) المصدر نفسه ص ١٩ .

( ٢ ) المصدر نفسه ص ٥٧ .

( ٣ ) حاشية العطار على شرح التهذيب في المنطق - ص ٨٦ .

( ٤ ) المصدر نفسه ص ١١٢ .

( ٥ ) المصدر نفسه ص ١٦٤ .



وهو التماس يجد له العطار مستنداً من أقوال النحاة . . .

ويلفت النظر في مؤلفات العطار ميله إلى الإطالة في كثير من تعليقاته . وهو لا يرى من هذه الإطالة إلا إلى توضيح المعنى في ذهن قارئه . وقد يدرك هو نفسه أنه إطال ، وأنه ربما أسأم القارئ وأضجره ، فتراه يقدم من الأعدار والاعتذار ما يدل على رقة شعوره . كما فعل في تعليقه على إحدى المقولات في المنطق ، ولم الشوارد الكثيرة حولها . فاعتذر من ذلك قائلاً : ( وقد نظمنا في هذه المقولة الشوارد الكثيرة الفوائد . فلا تسأم من الإطالة ، ولا تتشك الملالة : ) <sup>(١)</sup>

أما « الاستطراد » فهو ظاهرة تلت النظر في مصنفات العطار ، والواقع أن الرجل كان موسوعى الذهن ، متعدد جوانب الثقافة . فتراه يستطرده في خلال الكلام من موضوع إلى موضوع ، ولكنه استطراد لا يمل قارئه ، بل قد يكون فيه فائدة ومتاع عظيم . ولا نسوق هنا غير نموذج واحد من عشرات النماذج التي صادفتنا في كتبه . فلما فرغ من التعقيب على باب « التصورات » في المنطق ، وانتقل إلى باب « التصديقات » ختم البحث بسرد طائفة من الأخبار والحوادث التي وقعت بمصر . ولم يكن إتيانه بهذه الحوادث حشواً أو لغواً ، ولكنه رأى أن يمهّد لنفسه العذر حين أسكته الحوادث عن متابعة حواشيه وتقاريره على كتاب المنطق . فإنه بعد أن سرد أنباء المطر الشديد ، والحريق الهائل بالقلعة . والطاعون بمصر ، ختم الكلام بقوله : ( واجتماع هذه الأسباب هو الذي أوجب لي الوقوف عند هذا القدر ، فإن انجلى هذا الحادث ، وكان في العمر بقية ، شرعنا في القسم الثاني مستملين الإعانة من الله ، وإن كنا من الذاهيين مع هذا الوفد : فعسى أن يأتي بعدنا من يوفقه الله للإتمام . . . ) <sup>(٢)</sup> .

وقد تنبه لمثل هذا الاستطراد المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي وهو يكشف عن استطراد العطار في بعض المواضع من حاشيته على ( شرح جمع

(١) المصدر نفسه ص ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

الجوامع) إلى لوم أهل الأزهري على إعراضهم عن كتب المتقدمين<sup>(١)</sup> . . وإلى مدح كتب الفرنسيين والأجانب المترجمة إلى اللغة العربية<sup>(٢)</sup> .

ويمتاز حسن العطار في تأليفه بالتحقيق ومقابلة النسخ الخطية من الكتاب الواحد ؛ وهو منهج سليم في التأليف ، فقد رجع بعض العلماء المناطق إلى نسخ من كتاب عبد الحكيم السيالكوتي<sup>(٣)</sup> في المنطق ، وهو حاشيته على شرح القطب الرازي على الشمسية ، ونقلوا بعض عباراتها محرفة مما ترتب عليه خطأ في فهمهم . ولكن العطار فطن إلى هذا الاضطراب في النسخ ، ويحمد الله على أن وفقه إلى الحصول على نسخة خطية صحيحة جداً ، وندعه هنا يقول بنص عبارته : ( . . وأصل نسخ عبد الحكيم كلها محرفة ، فنقلها - يعنى بعض العلماء - بما فيها من التحريف والتصحيح . وقد منّ الله على الفقير بنسخة من عبد الحكيم صحيحة جداً ، قدم بها رجل فاضل من بخارى ، فصصحنا عليها نسخة مصرية ، وعليها اعتمدت في النقل . . . )<sup>(٤)</sup>

ومن مقابلات العطار الدكية لنسخ المخطوطات ما لاحظته على بعض نسخ « التهذيب » للعلامة التفتازاني من وجود نقص في بعضها ، وزيادة في بعضها الآخر . فحين جاء « الخبيص » لشرح التهذيب لم يتناول الموضوع الناقص لأنه بالطبع - ليس في نسخته - فلاحظ الشيخ حسن العطار هذا ، واستنتج أن النسخة التي وقعت للشارح ليست من النسخ التي ألحق بها المؤلف الأصلي بعض الزيادات والإضافات ، كما رجح الاحتمال بأن تكون هذه الزيادات ليست من عمل المؤلف الأصلي : التفتازاني ، ولكنها ( من إلحاق البعض )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) تاريخ الإصلاح في الأزهري - لعبد المتعال الصعيدي ص ١٩ .

( ٢ ) المصدر نفسه ص ٢٠ .

( ٣ ) هو عبد الحكيم بن شمس الدين الهنلي البنجابي من علماء المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري . اشتغل بالمنطق ، والبلاغة والعقائد ، وله حاشية على تفسير البيضاوي . توفي سنة ١٠٦٧ هـ .

( ٤ ) حاشية العطار على شرح الخبيص - ص ١٢١ - ١٢٢ .

( ٥ ) المصدر نفسه ص ٢٤٥ .

وفى سبيل التحقيق وتوثيق المخطوطات والمقابلة بين النسخ ومعارضة بعضها ببعض كان العطار لا يضمن بمال ولا جهد . فمن أجل حاشيته فى المنطق اضطر إلى الاطلاع على مخطوطات ثمينة تتصل بالموضوع ، فحصل - مثلاً - على نسخة خطية من كتاب <sup>(١)</sup> « شرح سلم العلوم » ، والسلم كتاب فى المنطق لحب الله البهارى المتوفى سنة ١١١٩ هـ . ومن شرح سلمه العلامة الهندى اللكنوى عبد العلى محمد بن نظام الدين المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ .

## ٧ - الإجازات العلمية وتقاريط الكتب

عقدنا فى كتابنا عن « المقرئ صاحب نفح الطيب » فصلاً - نظنه مفيداً - عن الإجازات العلمية وطريقة منحها من العلماء ، يرجع إليه من شاء من القراء . وقد ظلت الإجازات من الشيوخ إلى تلاميذهم جارية إلى عصر الشيخ حسن العطار ، بل بعد عصره بعشرات من السنين . ولا نزال نذكر الإجازة التى كتبها الشيخ محمد الأشمونى لتلميذه الشيخ حفى ناصف سنة ١٣١٦ هـ - سنة ١٨٩٨ م <sup>(٢)</sup> . ولما كانت الإجازات تحتاج - من وجهة نظر الكتابة الفنية - إلى مراسم وقواعد وأصول لكتابتها والتفنن فيها ، فقد رأى حسن العطار أن يصنع نموذجاً منها فى كتابه « الإنشاء » <sup>(٣)</sup> حتى ينسج العلماء والأساتذة على منواله حين يمنحون الإجازات لتلاميذهم !

بلى أن العطار فى كتابه « الإنشاء » قد سجل بعض إجازاته الواقعية - لا التهودجية - التى كتبها لبعض طلبته . كلإجازته إلى سيدى العربى الدمناتى كاتب سلطان المغرب ، الذى كتب إلى شيخه العطار يستدعيه ، أو يطلب منه

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٢ .

(٢) ترى صورة من هذه الإجازة فى كتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصني » - للمرحوم

الأستاذ محمد عبد الجواد - صفحة ٣٦ .

(٣) إنشاء عطار ص ٥٣ .

أن يمنحه إجازة ، ففعل ! ونسجل هنا - من باب التاريخ - كتاب الاستدعاء الذى بعثه الدمتاقى المغربى إلى الشيخ حسن العطار ، وفيه يقول : ( يارب الذكاء الرائع ، وحامل العلوم التى سد بها الدرائع ، والمطيل بلسانه فى حفظ علوم الشرائع ، المستولى على المعرفة والفقه والفرائض ، ومذلل جناح الأصول إذا لم يذلها رائض ، وأستاذ العربية والحساب ، وخائض بحر المنطق الذى اكتسب به الإدراك أى اكتساب ، ملاك الأوطار ، أبا على السيد حسن بن محمد العطار ، نداء مستجيز ، بالاستدعاء الوحيد . ذا فضلكم وما خولكم الله من إحسان ، لا ينفى به قلم ولا لسان . . . )<sup>(١)</sup> . وقد استجاب العطار لاستدعاء الرجل بالإجازة . ولم يكتف بأن تكون إجازة ثرية ، بل توجهها بقصيدة من الشعر يقول فيها :

طلبت إجازة منى ... وإنى لحافى الرجل فى هذه المفازه  
ومالى إن منعتكها اقتدار ! ومالى إن منحتكها إجازة !  
وكيف أجوز فى ميدان قوم حقيقه فضلهم أرجو مجازه ؟

وقد حفظ لنا مؤرخ القرن الثالث عشر الهجرى الشيخ عبد الرزاق البيطار صورة الإجازة التى كتبها الشيخ حسن العطار لوالده الشيخ حسن البيطار حينما كان المترجم له نازلاً بدمشق بعد رحلة إلى بلاد تركية وألبانيا ، وتعد هذه الإجازة وثيقة تاريخية هامة . ومصدراً من مصادر الترجمة للعطار ، لاشتهارها على أسماء شيوخ العطار أولاً ، ولاحتوائها على أسماء مؤلفاته التى كانت له حتى سنة ١٨١٥ م ، وهو العام الذى عاد فيه إلى مصر بعد رحلاته الطويلة ، وغيبته المتصلة .

وتدلنا استجابة العطار السريعة لكل من طلب منه إجازة علمية على روح هذا الرجل فى تشجيع الطلاب على طلب العلم وإقبالهم عليه . فإنه بهذا الصنيع

يجب التلاميذ في الاستزادة من العلم ، ولا يصددهم عن قصد موارده .  
 وهذا التشجيع بالإجازات ينصره تشجيع آخر من العطار بتقريظه للكتب .  
 وإذا كان تقريظ الكتب — بل تقريظ القصائد — « تقليعة » العصر في العصر  
 التركي كله ، بل كان بدعة من بدعه العجيبة ، فإن الشيخ حسن العطار لم يغال  
 فيه إلى الحد المردول المستثقل . وقد حفظ لنا في كتابه في « الإنشاء » نصوص  
 ثلاثة تقاريط ، أولها على كتاب ألفه شيخ الإسلام التركي عطاء الله أفندي يرد به  
 عقائد قوم مبطلين ، وثانيها تقريظه على ترجمة ألفية ابن مالك بالتركية التي قام  
 بها خيرت أفندي رئيس الكتاب في دار السلطنة العثمانية في عصره ، وثالثها  
 تقريظه ( على مؤلف لبعض الموالى الكرام ، ألفه في غلطات الأناط ، وهو حفيد  
 أفندي . . . )<sup>(١)</sup>

وليس لهذه التقريظات قيمة أدبية ، فقد انتهى عهداها ، وبطلت بدعتها .  
 ولم تكن في الحق أكثر من مجاملة بين الأدباء والعلماء ، ولم يقصد بها أن تكون  
 ذات قيمة نقدية للعلم والأدب . والحق أيضاً أن العطار لم يسرف فيها ولا في  
 استعمالها . وإن كان تلميذه الشاعر محمد شهاب الدين قد غالى في استعمالها  
 شعراً مغالاة عظيمة ، حتى لقد جعل قسماً كبيراً من ديوانه<sup>(٢)</sup> لهذه التقاريط  
 التي يعد بها أكبر المقرطين . ومن تقريظات الشاعر شهاب الدين تقريظه لكتاب  
 « القاموس المحيط » حين تم طبعه بالقاهرة سنة ١٢٧٢ هـ .

ويذكرنا تقريظ الشهاب لطبع القاموس بتقريظ الشيخ محمد سعيد السويدي  
 البغدادى لشرح القاموس المحيط للعلامة مرتضى الزبيدي سنة ١٢٩٤ هـ .  
 ولن نطيل الحديث عن هذه التقاريط الثرية والشعرية التي لن يعلم القارئ  
 الاطلاع عليها في مواضع متفرقة من تاريخ الجبرتي ، أو في دواوين شعراء ذلك  
 العصر ، أو في كتاب « الآثار الفكرية » الذي أفرد فيه جامعه : أمين فكرى  
 « باشا » باباً : اصلاً للتقاريط الثرية التي كتبها والده الأديب الشاعر الناصر عبد الله

( ١ ) المصدر نفسه صفحات ٥٨ ، ٦١ ، ٦٦ .

( ٢ ) انظر ديوان شهاب الدين .

« باشا » فكري . ولكن الذى نستطيع أن نقوله بحق إن الشيخ حسن العطار لم يسرف في هذه التقاريظ ، بل التزم فيها حد الاعتدال والقصد ، ولعله رآها كما كانت في عهده وسيلة للمجاملة وتعارض الثناء بين العلماء والأدباء ، فلم يلجأ إليها إلا بمقدار . . .

## ٨ - آثار العطار ومؤلفاته

لا نجد أوثق من الشخص المترجم نفسه ، حين يعدد لنا بنفسه وبقلمه آثاره ومصنفاته . فإنه هو المصدر الذى لا يتطرق إليه شك . ولكن عيب هذه الطريقة أن المترجم له قد يكون سجل مؤلفاته قبل نهاية أجله بزمان طويل أو قصير . وهنا يكون سجل مؤلفاته ناقصاً بقدر ما كتبه بعد ذلك من كتب ومصنفات ، كما نجد ذلك عند العلامة المؤرخ السيوطى حين سجل في كتابه : « حسن المحاضرة » ثبتاً بأسماء كتبه التى ألفها ، وهو يترجم لنفسه ترجمة ذاتية — أو شخصية <sup>(١)</sup> — فقد كتب الترجمة وسجل مصنفاته قبل وفاته بفترة صنف فيها كتباً جديدة خلا منها ذلك الثبت المهم .

والذى حدث عند السيوطى في القرن العاشر الهجرى ، حدث عند حسن العطار في القرن الثانى عشر . فإنه في إجازته التى كتبها للشيخ حسن البيطار ختمها بذكر مصنفاته التى كانت إلى ذلك التاريخ الذى كتب الإجازة فيه وهو سنة ١٨١٥ م . فسقطت بالطبع الكتب التى ألفها بعد ذلك . ويذكر لنا العطار أسماء مؤلفاته على هذا النحو :

- ١ - حاشية شرح قواعد الإعراب .
- ٢ - حاشية الأزهرية ، فى النحو
- ٣ - حاشية العصام على الوضعية للإيجي

(١) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - للسيوطى - ج ١ ص ١٨٨ .

٤ - حاشية شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في المنطق  
٥ - حاشية النخبة

٦ - حاشية السمرقندية لأبي القاسم السمرقندي في الاستعارة

٧ - حاشية السلم لمحَب الله البهاري من علماء القرن الثاني عشر الهجري

٨ - حاشيتان على ولدية المرعشي في آداب البحث

٩ - شرح المنظومة الوضعية

١٠ - شرح المنظومة التي في آداب البحث

١١ - شرح منظومة التشريح

١٢ - شرح نزهة الشيخ داود في الطب

١٣ - حاشية شرح أشكال التأسيس في علم الهندسة

١٤ - حاشية المغني في النحو . وكان وهو بدمشق يدعو الله أن يتمها

ويختم حسن العطار هذا الثبوت بقوله : ( ولنا رسائل عديدة في مسائل متفرقة من علم الحكمة والكلام وغير ذلك ) (١) .

أما الكتب التي ذكرها على مبارك في خلال ترجمته للعطار ، فلم يذكرها على سبيل الحصر ، بل قال إن له تأليف عديدة منها ( ١ ) حاشيته على جمع الجوامع في نحو مجلدين ( ٢ ) وحاشية على الأثرية في النحو ( ٣ ) وحاشية على مقولات الشيخ السجاعي ( ٤ ) وحاشية على السمرقندية في البلاغة . ورسالة في كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المقنطر والحبيب والبساطط ، ورسائل في الرمل والزايحة والطب والتشريح وغير ذلك .

وذكر له المرحوم أحمد تيمور في « فهرس الخزانة التيمورية » تسعة من الكتب لا تزيد . وليس فيها من زائد على ما عند البيطار وعلى مبارك إلا هذه الكتب : ( ١ ) رسالة في البسمة والحمدلة ( ٢ ) إنشاء الشيخ العطار ( ٣ ) حاشية العطار على كتاب التذهيب للخيصي في علم المنطق ( ٤ ) حاشية العطار على

جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي (٥) منظومة العطار في النحو .  
وواضح أن هذه الكتب الخمسة هي مما ألفه الشيخ حسن العطار بعد عودته من  
رحلته إلى مصر سنة ١٨١٥ .

وذكر له جرجي زيدان ستة من الكتب هي : (١) إنشاء العطار (٢) منظومة  
في النحو (٣) ديوان ابن سهل الأندلسي (٤) حاشية على شرح الأزهري  
(٥) حاشية على السمرقندية في البلاغة (٦) مظهر التقديس بذهاب دولة  
الفرنسيس ، وهو للجبرتي بالأصالة ، وفيه بعض الشعر والنثر للعطار بالمشاركة .  
وليس في الكتب التي ذكرها جرجي زيدان زيادة على ما سبق ذكره عند  
البيطار وعلى مبارك وتيمور إلا ديوان ابن سهل ومظهر التقديس .

... ولم يرد في ثبت مؤلفات العطار عند هؤلاء المحققين ذكر لديوان العطار  
الذي يقول عنه الجبرتي إنه موجود ، وإن قصيدة : أنهض فقد ولت جيوش  
الظلام ، مسطورة به . وقد فصلنا الكلام عن ديوان العطار قبل هذا في الفصل  
الخاص بالعطار الشاعر ، فلن نعيد القول بالتكرار فيه .

ولا بأس أن نقول هنا كلمة عن كتاب « مظهر التقديس » الذي سجله  
جرجي زيدان في مؤلفات العطار ، ثم صحح الموقف على التو ، فقال (إنه  
للجبرتي على ما يظهر وفيه جانب من منظوم العطار ومنثوره) <sup>(١)</sup> . فالأستاذ  
خليل شيبوب يصحح الوضع على طريقته بقوله : (ولا شك أن هذين البيتين  
من نظم الشيخ حسن العطار الذي ضمن هذا الكتاب فصلاً من إنشائه  
المسجوع ، وخاصة تعليقه على قصيدة الصيرفي التي مدح بها أحمد « باشا »  
الجزار ، وهي ثمانون بيتاً أو تزيد ، أدرجها بحر وفها ونقدها لغوياً وعروضياً) <sup>(٢)</sup> .  
والأستاذ محمود الشراوي يخلص من مقابلته بين مظهر التقديس وما كتبه  
المؤرخ الجبرتي في تاريخه المسمى « عجائب الآثار » ، عن دخول الفرنسيين  
مصر وإقامتهم فيها ، وخرابهم منها ، بالنتائج السليمة الآتية ، وهي أن الجبرتي

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ - ص ٢٣٢ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي - خليل شيبوب - سلسلة اقرأ ، ص ٨٨ .



في « مظهر التقديس » ( يذكر اسم الشيخ حسن العطار على أنه شريك في تأليف الكتاب ، فهو يقول في أوله : إنه ألف كتابه وضم إليه ما كتبه الشيخ حسن العطار من النثر والشعر . ثم يقول عند اختياره اسم الكتاب : « ومميناه » مظهر التقديس . وهو عند ما ذكر ذلك عن تاريخه قال « ممينه » عجائب الآثار . وعند ما يورد بعض الشعر يقول : إنه « لصاحبنا الآتى ذكره » أو « لصاحبنا السابق ذكره » بعد أن ذكر اسم الشيخ العطار ) <sup>(١)</sup>.

والحق أن هذه الملاحظات الذكية والنتائج الواعية جديدة بالاعتبار ، لأنها تصحح الرأي في كتاب « مظهر التقديس » على أوضح الوجوه .

---

(١) مصر في القرن الثامن عشر : لمحمد الشرقاوى - ج ١ - ص ٣٦ .

## الفصل الرابع

### منتخبات من آثار حسن العطار

#### ١ - حسن العطار الشاعر

١ - الغزل :

#### رسالة عاشق لمعشوق

نظم الشاعر حسن العطار الأبيات التالية ، وعنوانها بعنوان : رسالة عاشق لمعشوق ، ونشرها في كتابه ( الإنشاء ) :

أَعَنِ المحبُّ ثَنَّاكَ عَنْهُ وَجِيبُهُ	أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى البَعَادِ رَقِيبُهُ ؟ (١)
هَجَرَ الكرى لما هَجَرْتَ وَوَصَلْتُ	هَ شَجَوْنُهُ ، وَازْدَادَ فَيْكَ نَحِيبُهُ (٢)
لَمْ يَجُنْ ذَنْباً فِي هَوَاكَ وَإِنَّمَا	قَدْ كَانَ بِالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ حَسَنِ وَصْلِكَ بَعْدَمَا	جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ
وَتَرَكْتَهُ وَالْفَكْرَ فَيْكَ مَعَ النِّهَا	رِ سَمِيرُهُ وَالسَّهْدَ مِنْكَ مَنِيبُهُ
لَوْ لِلْقَا عَطَفْتَهُ مِنْكَ شِكَايَةُ	رَقَّتْ ، وَدَمَعَ طَافِحُ (٣) شُؤْبُوهِ
لَرَأَيْتَ جَسَماً كَالْهَالَالِ مِنَ الضَّمْنَى	وَلِهَيْبِ قَلْبٍ مَقْلَتَاهُ تُذَيِّبُهُ
صِلُهُ لَتَسْتَبْقَى بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي	لَوْلَا الْأَمَانِي مَا بَقِيَ مُوْهُوبُهُ (٤)

( ١ ) ثَنَّاكَ عَنْهُ : صرفك عنه . والوجيب خفكان القلب واضطرابه .

( ٢ ) الكرى النوم : والنحيب رفع الصوت بالبكاء .

( ٣ ) عطفته أى أمالته تحوُّك . والشؤبوب الدفعة من المطر ، وقد شبه به الدمع لفزارته .

( ٤ ) صله أى أعد وصله والقرب منه ولا تقطع مودته . والرويق بقية الحياة .

أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فَبِكَ تَأْسِيًّا      وَالصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادَ نَجِيهِهِ (١)  
وَبَلِيَّتُ فَبِكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّدَ      ي نَحْوِ طَوْدٍ أَثْقَلْتَهُ كُرُوبُهُ (٢)  
أَفَلَا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبْتَ بِهِ      أَيْدِي الْمُنَى وَنَازَعْتَهُ خُطُوبُهُ (٣)  
أَنْتَ النِّعَمُ لَهُ وَمَنْ عَجِبَ تَعَدَّدَ      بِهِ ، وَتُمْرُضُهُ ، وَأَنْتَ طَبِيبُهُ !

### إلى متى

ولحسن العطار هذه الأبيات الغزلية التي أودعها أيضاً رسالة عاشق إلى معشوق ، ونشرها في كتابه (الإنشاء) :

إلى متى تشكو ولم تَرثِ لى      أما كفى أن رَقَّ لى عُدْلَى (٤) ؟  
يا باخلاً بالوصل عن عاشق      بعَسَجَدِ الْأَجْفَانِ لَمْ يَبْخُلْ (٥) !  
أَنْفَقَ فِي حَرِّ الْهَوَى عَمْرَهُ      وَعَنْ أَمَانِيهِ فَلَا تَسْأَلِ !  
لَمْ يَبْقَ فِي الصَّبِّ سِوَى مَهْجَةٍ      أُمِسْتُ لَنِيرَانِ الْهَوَى تَصْطَلِي (٦)  
ومقلّة ترعى نَجُومَ الدُّجَى      شَقِيقَكَ الزَّاهِرَ عَنْهَا سَلَى (٧) !  
تَبَيَّتُ تَبْكِي شَجْوَهَا كُلَّمَا      هَاجَ بِذِكْرِكَ فَوَادُّ بَلَى

(١) التأسي هو التسلى بالصبر .

(٢) بليت فبك أى أصبت فى حبى إياك . والإلاسى هو اللام على الشئ . والطود الجبل العظيم أى

أصبت فى حبى لك بكل عدول لآلم ثقيل كالجبل . . .

(٣) المنون الموت . .

(٤) ترقى لى أى تيكى وتشفق على . والمذل جمع عاذل وهو اللام فى الحب .

(٥) المسجد الذهب ، وعسجد الأجفان كناية عن الدمع .

(٦) الصب هو العاشق ذو الولى الشديد ، والمهجة القلب .

(٧) المقلّة العين . وترعى أى تنظر ، والدجى الظلام . وشقيق المحبوب الزاهر هو القمر ،

فكأنه شبهه باليد . وسلى فعل أمر بمعنى أسأل .

ما أطولَ اللَّيْلِ على عاشقٍ فَارَقَ محبوباً عليه ولى  
كأنما الصبح اتقى سَطْوَةَ من كافرٍ الليل فلم يَنْجُلِ (١)

### سلطان الهوى

وحين عاد إبراهيم « باشا » منتصراً من حروبه فى الشام مدحه الشاعر  
بقصيدة ، استلها بالغزل التقليدى على طريقة قدامى الشعراء ، ثم تخلص من  
الغزل إلى الممدح بعد ذلك . وفيها يقول :

سمهرى ينشئ أم غُصْنُ بَانٍ أم قَوَامٌ دونه صَبْرَى بَانٍ ؟ (٢)  
صان بالعَسَّال معسولَ اللَّسَى وتهادى هادماً ما أنا بَانٍ (٣)  
يا ملكَ الحسن رفقاً بِشَجٍ كلما حاول كَتَمَ الشَّجْوِ بَانٍ (٤)  
مَرَجَ البحرين فيضاً دُمُعُهُ إذ رأى جفنيه لا يلتقيان (٥)  
جَاءَ ، لا جَارَ سلطانَ الهوى طالباً من عادلِ القَدِّ الأَمَانِ (٦)  
رُبُّ ساقٍ ، وهو قاسٍ قلبُهُ عِطْفُهُ منذ أدار الكأسَ لَانٍ (٧)

( ١ ) اتقى أى خاف ، والسطوة هى الصولة والاعتداء . والليل الكافر هو الذى يستر كل شيء ،  
لأن الكفر أصل معناها الستر والحجب . ومعنى البيت أن الصباح كأنه خشى اعتداء وصوله من الليل  
الكافر فلم يطلع . . .

( ٢ ) السمهرى الريح الصلب ويشبه به المحبوب . وغصن البان هو غصن شجر يشبه به القوام  
النفيق المرتقع . وبان الصبر أى يعد وراح .

( ٣ ) العسال الريح . واللى سرقة فى الشفة مستحسنة . وما أنا بَانٍ أى ما أنا يانيه .

( ٤ ) الشجى هو الشخص الحزين . والشجوا الحزن . وبان فى هذا البيت بمعنى ظهر :

( ٥ ) مرج البحرين أى خلط ماءهما .

( ٦ ) القد القوام ، وعادل القد هو الحبيب الذى يتفزل فيه .

( ٧ ) عطف الرجل : جانيه . ولان عطفه كناية عن الرقة والاستجابة . ولاحظ البدیع هنا ،

فإن لفظة (ساق) حين ثقلها تكون (قاس) .

أَهْيَفُ إِنْ مَاسَ تِيهَا وَرَنَا رُحْتُ مِنْهُ بَيْنَ سَيْفٍ وَسِنَانٍ<sup>(١)</sup>  
كَبَسَرَ الْقَلْبَ ، وَمَا كَانَ التَّقَى فِيهِ ، مِنْ حِينَ هَوَاهُ ، مَا كُنَانٍ<sup>(٢)</sup>

### أنا راضٍ

وللعطار بيتان في الغزل يعلن فيهما عن نزوله على حكم الحبيب ورضاه منه  
بكل ما يرضاه ، وهما :

أنا راضٍ منك يا كلَّ المعنى بالذي تهوى على حكم الغرام  
لست أبغى من زمانٍ حاجةً غيرَ أنْ تحيا سعيداً ، والسلام

ب - الوصف :

### بركة الأزبكية

كانت الأزبكية في عهد حسن العطار قبيل مجيء الفرنسيين إلى مصر  
مسكن الأمراء ، وموطن الكبراء ، وحى الرؤساء . تملؤها القصور الشاهقة ،  
وتحيط بها البساتين الوارفة الظلال . وقد وصفها الشاعر بهذه الأبيات : —  
بالأزبكية طابت لي مسرات ولدت لي من بديع العيش أوقات  
حيث المياه بها والفلك سابحة كأنها الزهر تحويها السموات<sup>(٣)</sup>

(١) الأهيف الرقيق المنصر . وماس أى تمايل ، وتيا أى عجباً واختيالاً . رفا أى فطر ،  
والسيف هنا كناية عن جفون المحبوب ، والسنان كناية عن قوامه الذى يشبه الرمح .

(٢) لاحظ البديع في هذا البيت ، فكلمة ساكنان لها معنى قريب وهو المعنى المعروف في  
النحو . ومعنى بعيد ، وهو الساكن بمعنى المقيم في القلب .

(٣) الفلك السفن وكل ما يبحر البحر ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، والزهر جمع أزهر ،  
وهو النجم اللامع .

- مدّت عليها الروابي خُضِرَ سُندسها      وغرّدتْ في نواحيها حَمَامَات ! (١)  
 والماءُ حينَ سرى رَطْبُ النسيمِ به      وحلّ فيه من الأدوح زَهْرَات (٢)  
 كسابغات دروعٍ فوقها نُقْطُ .      من فضة ، واحمرارا ورد طُعْنَات (٣)  
 وللنديم بها عَيْشٌ تُسَاعِدُهُ      على اغتنام دواعيه المسرّات (٤)  
 يَروح منها صريعَ العقلي حين يرى      على محاسنها دارت زُجَاجَات (٥)  
 وللرفاق بها جَمْعٌ ومُفْتَرَقٌ      لما غَدَتْ وهى للندمان حانات (٦)

### سقياً لأسيوط

لما فر العطار من القاهرة إلى الصعيد نجاة بنفسه من "ذى الفرنسيين" المعتدين ،  
 نزل بمدينة أسيوط ، فأحبها ، ووصفها ثراً وشعراً . ومن شعره المرتجل فيها هذان  
 البيتان :

- سَقِيّاً لأسيوطَ ذات الظل والشجرِ      ومَرَبِعِ اللّهُو واللذات والزهر (٧)  
 منازلُ بصنوف العيشِ لإعامرةٍ      يلهو والنديم بها في مشتتهى الوطر (٨)

(١) الروابي جمع رابية وهى الأرض المرتفعة ، والسندس وشى أخضر يشبه به النبات والعشب  
 الأخضر على وجه الأرض .

(٢) الأدواح الشجر العظيم جمع دوحه .

(٣) الدروع السابغة هى الدروع الواسعة المفاضة ، ولقد شبه الشاعر هنا تموج الماء فى بركة  
 الأزبكية بالتموجات التى على سطح الدروع ، وشبه أوراق الورد الحمراء المتناثرة على وجه البركة  
 بالطلعات فى الصدور التى تقيها الدروع . . .

(٤) اغتنام المسرات ، انبهاز أوقات السرور

(٥) صريع العقل أى مسلوب العقل .

(٦) الرفاق جمع رفيق وهم الصحاب ، والندمان جماعات الشاربين . والحانات جمع حانة وهى  
 ما يقدم فيها الشراب ويجتمع الشاربون .

(٧) سقيا لأسيوط . يدعو الشاعر هنا لأسيوط أن يسقيها الله بالمطر .

(٨) الوطر هو ما يطلبه الإنسان من رغبات .

## عرائس دمشق

نزل العطار بدمشق بعد جولته في تركيا وألبانيا ، وقد نظم في وصفها هذه الأبيات التالية الطائفة . وقد اختار لها هذه القافية الصعبة الغليظة لأنه عارض بها قصيدة في الغرض نفسه للشيخ محمد المسيرى الذي قدمها من بيروت فوصفها ولكن أبياته لم تقع من الأدباء موقع القبول ، فأراد العطار أن يعارضها بأبياته الآتية :

- بوادى دمشق الشام جزى أخا البسط وعرج على باب السلام ولا تخطى<sup>١)</sup>  
 ولا تبك ما يبكي امرؤ القيس خوفاً ولا منزلاً أودى بمنعرج السقط.<sup>٢)</sup>  
 فإن على باب السلام من ألها ملابس حسن قد حفظن من العط.<sup>٣)</sup>  
 هنالك تلقى ما يروك منظرًا ويُسلى من الأخدان والصحب والرط.<sup>٤)</sup>  
 عرائس أشجار إذا الريح هزها تميل سكارى وهى تعطر في مرط.<sup>٥)</sup>  
 كسماها الحيا أثواب خيط فذثرت بنور شعاع الشمس والزهر كالقرط.<sup>٦)</sup>

( ١ ) عرج أى مل نحو باب السلام وهو من أبواب دمشق القديمة . لا تخطى أى لا تخطى . إصابة غرضك .

( ٢ ) حويل والسقط مكانان وقف عليهما الشاعر الجاهل امرؤ القيس وبكى أطلالهما بعد رحيل أحبابه عنها في قوله :

فقا نيلك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحوصل  
 ( ٣ ) العط هو شق الثياب أو تشققها .

( ٤ ) الأخدان جمع خدن وهو الصاحب . والرط الجماعة من الناس أو الجماعة من قوم الرجل وأهله .

( ٥ ) تعطر أى تميل ، والمرط أثواب غير الخيط .

( ٦ ) الحيا المطر والخطر الغصن من الشجر . وذثرت أى تلتفت بدثار . والقرط ما يوضع في الأذن لتجميل به المرأة ( الخلق ) .

## دمعة على عالم

كان الشيخ محمد عرفة الدسوقي المالكي أستاذاً للشيخ حسن العطار في الأزهر ، وكان من كبار المحققين والمؤلفين في وقته . فلما مات سنة ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٥ م رثاه تلميذه الرقي بالقصيدة التي نذكر منها الأبيات التالية :

أحاديثُ دهرٍ قد أَلَمَّ فأَوْجَعَا وحَلَّ بنادى جمعنا فتصدَّعا<sup>(١)</sup>  
 لقد صَالَ فينا البينَ أعظمَ صَوْلَةٍ فلم يُخَلِّ من وقعِ المصيبة موضعا<sup>(٢)</sup>  
 وجاءت خطوبُ الدهرِ تترى فكلما مضى حادثٌ يعقبه آخرٌ مسرعا<sup>(٣)</sup>  
 وحلَّ بنا ما لم نكن في حسابه من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا  
 خطوب زمان لو تَمَادَى أَقْلُهَا بشامخِ رَضْوَى أو ثبيرِ تَضَعُضعا<sup>(٤)</sup>  
 وأَصْبَحَ شأنُ الناسِ ما بين عائدٍ مريضاً ، وثانٍ للحبيب مشيعاً  
 لقد كان رَوْضُ العيشِ بالأمنِ يانعاً فأَضْحَى هَشِيماً ظلُّه متقشُّعا  
 أَيْحَسُنُ أن لا يَبْدُلَ الشَّخْصُ مَهْجَةً ويبكى دماً إن أَفْنَتِ العينُ أَدْمُعاً؟<sup>(٥)</sup>  
 وقد سارَ بالأحبابِ في حينِ غفلةٍ سريرُ<sup>(٥)</sup> المنايا عاجلاً متسرعاً  
 وفي كلِّ يومٍ روعةٌ بَعْدَ روعةٍ فلله ما قَاسَى الفؤادُ ورُوعاً<sup>(٦)</sup>

(١) أَلَمَ أى نزل . تصدع الجمع أى تكسر وتفرق .

(٢) البين الفراق . لم يَخَلِّ أى لم يترك .

(٣) ترى أى جاءت متتابعة . وتستعمل هذه اللفظة حالاً - أى أنها اسم - ومن الخطأ استعمالها فعلاً . فلا يقال : ترى الحوادث ، أى تتوالى . بل يقال : جاءت الحوادث ترى .

(٤) رَضْوَى اسم جبل بالحجاز وثبير كذلك اسم جبل ببلاد العرب على عَيْنِ الذهابِ إلى عِرْقَاتِ .

(٥) سرير المنايا أى سرير الموت وهو الشمس الذى يوضع فيه الميت ويسار به إلى قبره .

(٦) الروعة المصيبة التى تروع .



عزاءُ بني الدنيا بَفَقْدِ أُمَّةٍ  
 يميناً لقد جَلَّ المصاب بشيخنا الد  
 وشابت قلوبٌ ، لا مفارقُ ، عندما  
 فللناس عُذْرٌ في البكاء وللأسى  
 تواضعَ للطلاب فانتفعوا به  
 وكان حليماً واسعَ الصدر ماجداً  
 سعى في اكتساب الحمد طول حياته  
 ولم تُلههِ الدنيا بزُخرفِ صورة  
 لقد صرَفَ الأوقاتَ في العلم والتقى  
 فَقَدَنَاهُ ، لكنْ نفعه - الدهر - دائمٌ  
 فجُوزِيَ بالحسنى ، وتُوجَّ بالرضى

لَكَأْسٍ مرير الموت كلُّ تجرعا  
 سموق وعاد القلب بالهم مُترعاً<sup>(١)</sup>  
 تنكرت الأسماع صوت الذي نعي<sup>(٢)</sup>  
 عليه ، وأما في السواء فتجزعا  
 على أَنَّهُ بالحلم زاد ترفعاً<sup>(٣)</sup>  
 تقياً ، نقياً ، زاهداً متورعاً  
 ولم نَرَهُ في غير ذلك قد سعى  
 عن العلم كيما أَن تَغُرَّ وتخدعاً<sup>(٤)</sup>  
 فما لِنَ لها يا صاح أَمسى مضيعاً  
 وما مات مَن أَبقى علوماً لِنَ وعى  
 وقُوبِلَ بالإكرام ممن له دَعَا

د- المده :

### بشراك بالمنصب

كان الشيخ عبد الرحمن السفاقي الضرير شيخاً لرواق المغاربة بالأزهر ،

(١) جل المصاب أى عظم ، والقلب المترع هو المملوء بالهموم .

(٢) القلوب لا المفارق التى شابت من هول المصاب وشدة وقع النعي الذى أنكرته المسامع غير مصدقة له .

(٣) يشير العطار في هذا البيت إلى قول الشاعر العربي :

دنوت تواضعا ، وعلوت مجدا فشأنك انحسار وارتفاع

(٤) لم تصرفه الدنيا بزخارفها الكاذبة عن العلم وطلبه .

فلما عزل تولي بعده الشيخ شامل الطرابلسي . وكان العطار يميل إليه ويصادقه .  
فامتدحه بقصيدة يقول فيها :

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام (١)
وغنت الورق على أينكها	تنبه الشرب لشرب المدام (٢)
والزهر أضحي في الربى باسمها	لما بكت بالطل عين الغمام (٣)
والغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر في الانتظام (٤)
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأببرا السقام (٥)
كأنما الورد على غصنه	تسجان إبريز على حسن هام
كأنما الغدران خلجان آغ	صان النقا ، والنهر مثل الحسام (٦)
بشراك مولانا على منصبي	كان له فيك مزيد الهيام (٧)
فقد رأينا منك ما نرتجي	لا زلت فينا سالماً . والسلام

(١) ذكر صاحب كتاب « مصر في القرن الثامن عشر » أن هذه القصيدة قالها العطار في مدح صديقه الشيخ أبي القاسم المغربي شيخ رواق المغاربة . وقد رجع في هذا إلى كتاب « مظهر التقديس » وعبارته مضطربة في هذا الحادث . والصواب ما ذكرناه من أنها في مدح الشيخ شامل الطرابلسي نقلاً عن الجبرتي ج ٥ ص ١٤٦ طبعة لجنة البيان العربي .

(٢) الورق بضم الواو جمع ورقاء ، وهي الحامة . والشرب بفتح الشين المشددة : سجاعة الشاربين . والشرب بضمها مصدر من الفعل : شرب .

(٣) الربى جمع ربة وهي المرتفع من الأرض ، الطل المطر الخفيف . الغمام السحاب المملوء بالمطر وفي هذا البيت استعارة أي أن الأرض ضحككت بالزهر حين بكت السماء بالمطر .

(٤) ماس : مال .

(٥) الصبا ريح شرقية لطيفة في بلاد العرب ، وهي في الحق نسيم لا ريح . أبرأ أصلها أبرأ أي شن المرضي .

(٦) الغدران جمع غدير . والنقا القطعة من الرمل المحدودة ، والحسام السيف .

(٧) الهيام شدة الكلف بالشيء . يرپد الشاعر أن المنصب نفسه كان مشتاقاً إلى أن يناله

المندوح .

## فخر المرء بأفعاله

كان بعض المشايخ من أصدقاء العطار نقيباً لأشرف القدس ، ولكنه أبعد  
عن النقابة ، ثم عاد إليها مرة أخرى ، فنظم العطار قصيدة يهنته منها هذه  
الآيات :

الحمد لله على فضله	قد رَجَعَ الحق إلى أهله <sup>(١)</sup>
وَأَصْرُ رَوْضِ الْفَضْلِ ذَا بَهْجَةٍ	من بعد ما أَشْفَقَ من مَحَلِّه <sup>(٢)</sup>
قد يَطْلُبُ الْحَسَنَاءَ من لَمْ يَكُنْ	كَفَرُوا لها ، لِلْحَمَقِ في عقله
قد يَتَسَاوَى اثْنَانِ في مَنْصَبٍ	وإنما التَفَرِيقُ في سُبُلِه <sup>(٣)</sup>
وَمَفْخَرُ الْمَرْءِ بِأَفْعَالِه	لا بالذی قد ماتَ من أهله
وقد يَسُودُ الشَّخْصُ آباءَهُ	ويشرفُ الْفَرْعُ على أَصله <sup>(٤)</sup>
وقد نَرَى فَرْعَيْنِ من دُوْحَةٍ	تَخَالَفَا في الْحَكَمِ مع شِكله
فَالْخُلُّ وَالْخَمْرُ عَصِيرٌ ، وقد	باينَ هذا ذاكَ في فِعْلِه

( ١ ) رجع الحق إلى أصحابه بعودة المهنتا إلى عمله .

( ٢ ) آص : صار ، والحل جذب الأرض .

( ٣ ) الفرق بين اثنين توليا منصبا واحدا هو في طريق كل منهما في عمله .

( ٤ ) يسود : يتفوق ويزيد في السيادة . ويشرف أى يكون ذا شرف أكثر .

## ثلاثة في واحد

هجا العطار شخصاً بأنه اجتمع فيه البخل ، والجهل مع التعالم ، واخسد  
مع التودد ، فقال :

لِئِى لَأَكْرَهُ فِى الزَّمَانِ ثَلَاثَةً      مَا إِنَّ لَهَا فِى عَدُّهَا مِنْ زَائِدٍ  
قُرْبَ الْبَخِيلِ ، وَجَاهِلًا مَتَفَاضِلًا      لَا يَسْتَحِى ، وَتَوَدُّدًا مِنْ حَاسِدٍ  
وَمِنْ الْبَلِيَّةِ وَالرَّزِيَّةِ أَنْ تَرَى      هَذِى الثَّلَاثَةَ جُمِعَتْ فِى وَاحِدٍ

## جنود الحملة الفرنسية

لاحظ العطار أن جنود الحملة الفرنسية كانوا يركبون الحمير ويجهدون في  
المشى والإسراع ، وهم يصيحون ويعربدون في أخطاط القاهرة ، ويشاركهم  
المكارية - الحمارون - في ذلك ، كما أنهم كانوا كثيرى التردد على الحانات  
التي أقيمت خصيصاً لهم ، فقال في ذلك يهجوهم ويتمنى هلاكهم في حملة  
الشام :

إِنَّ الْفَرَنْسِيَّسَ قَدْ ضَاعَتْ دِرَاهِمُهُمْ      فِى مَصْرِ نَا بَيْنَ حِمَارٍ وَخِمَارٍ  
وَعَنْ قَرِيبٍ لَهُمْ فِى الشَّامِ مَهْلِكَةٌ      يَضِيعُ فِيهَا لَهُمْ آجَالُ أَعْمَارٍ<sup>(١)</sup>

( ١ ) المهلكة الهلاك والموت ، وهنا يتمنى لهم الشاعر الموت في حملتهم على الشام .

## قطاف الكروم

كان العطار معجباً بشعر أهل الأندلس وموشحاتهم . وكان يرى فيها ما يوجب السرور للنفس . وقد عارض إحدى الموشحات الأندلسية التي مطلعها :

في رنة العود والسُّلافه والروض والنهر لى نديم

بقوله ، وقد سجله في حاشيته على التهذيب في المنطق :

في الروض والنهر والسُّلافه	يديرها الشَّادِنُ الرَّخِيمُ <sup>(١)</sup>
بين ندامى حَوَّوا لَطَافَه	قد طاب والله لى النعيم <sup>(٢)</sup>
يا لائماً لى على التَّصَابِي	ولستُ أَضْبُو إلى ملام
أما ترى سندس الروابي	كلُّهُ لَوْلُو الغمام <sup>(٣)</sup> ؟
والشمس وافتلك في نقاب	ضمَّخهُ عنبر الظلام <sup>(٤)</sup>
والكرمُ أبدي لنا قِطَافَه	كأنَّها لَوْلُو نَظِيمُ <sup>(٥)</sup>
والنهر قد أحسن انعطافه	مثلَ سوار بكفَّ ريم <sup>(٦)</sup>

( ١ ) السلافه والسلاف بضم السين ما سأل وتحلب من الخمر قبل عصره ، الشادن ولد الغزال ويشبه به الذي يدير الخمر على الشاربين ، والرخيم انزقيق الصوت .

( ٢ ) الندامى جمع ندمان وهو المرافق على الشراب .

( ٣ ) سندس الروابي أى الخضرة التى تكمل سطوح الأرض المرتفعة . كلله أى جعل له إكليلاً . ولؤلؤ الغمام هو ماء المطر الشبيه بجبات الال .

( ٤ ) النقاب ما يوضع على الوجه ليعطيه كالحنجاب . تسمخه أى عطره بالطيب . وعنبر الظلام ، هو سواد الليل ، شبهه بالعنبر فى سواده .

( ٥ ) الكرم شجرة العنب ، واللؤلؤ النظم أى المنظوم .

( ٦ ) السوار ما يلبس فى المعصر ، والريم ولد النظم .

## نسمة الشمال

وهذه هي موشحة أخرى لحسن العطار على طويقة الأندلسيين . وهما مما دونه  
الرجل في كتابه « حاشية على شرح التهذيب في المنطق » للخبيصي :

صاح ! تنبّه من النعاس فكوكب الصُّبح قد أنار  
وانهض إلى روضةٍ وكاس وشادنٍ خالى العذار<sup>(١)</sup>

\* \* \*

أما ترى المزنَ بالآلى قد قلّد الغصن<sup>(٢)</sup> بالعقود ؟  
فماس في الروض باختيالٍ يهيم الصب<sup>(٣)</sup> للقدود !  
تهزه نسمة الشمال فيعقب الروض بالورود<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

يزهو بوشى من اللباس ما بين وردٍ وجلنار<sup>(٥)</sup>  
وللشقائق طرازُ آسٍ ذكرنى الخدّ والعذار<sup>(٦)</sup>

---

( ١ ) العذار جانب الحية أو الخد .

( ٢ ) المزن جمع مزنة وهي السحابة . وقد شبه حبات المطر بحبات العقد .

( ٣ ) يهيم الصب : بالتشديد : أى يجعله يهيم ويفتن . والصب المحب الموله ، والقدود جمع قد ، وهو القوام .

( ٤ ) يعقب أى تتبشر رائحته .

( ٥ ) الوشى ما يوشى الثياب ويحليها ويزركشها ، والجلنار نوع من الورود وهي فارسية الأصل .

( ٦ ) الشقائق نبات أحمر الزهر ميقع بنقط سوداء . والآس نوع من نبات الريحان العطري الرائحة .

## ح - الشعر التعليمي :

### علوم العربية

كان حسن العطار ينظم النوع من الشعر المسمى بالتعليمي - كشعر ألفية ابن مالك في النحو - والقصد منه تسهيل حفظ القواعد . فمن شعره التعليمي - ومن المجاز أن يسمى هذا شعراً - قوله في عد علوم العربية في نظره :

نحو، وصرف ، عروض ، بعده لغة ثم اشتقاق ، وقرض الشعر ، إنشاء  
كذا المعاني ، بيان ، الخط ، قافية تاريخ هذا لعلم العرب إحصاء

### أنواع المعارف

الاسم المعرفة في علم النحو ضد النكرة ، والمعارف سبعة أنواع جمعها حسن العطار في بيت واحد مشهور كان يحفظه تلاميذ المدارس حصراً لأنواع المعارف ، وهي : الضمير ، والعلم ، واسم الإشارة ، واسم الموصول ، والمحلّي بأل ، والمضاف ، والمنادى . والبيت هو :

إن المعارف سبعة فيها سهل أنا ، صالح ، ذا ، ما ، الفنى ، ابني ، يارجل

## ٢ - حسن العطار النائر

١- الوصف :

### وصف دمشق

سبق أن وصف العطار دمشق شعراً ، وهنا وصفها نثراً يقول فيه :

أما دمشق الشام ، فهي غرة<sup>(١)</sup> البلاد ، وبغية المرتاد<sup>(٢)</sup> ، وهي في الدنيا جنة ، وساكنها له من الهم وقاية وجنة<sup>(٣)</sup> . ذات سرور وحبور ، وقصور ونهور ، ورياض وحياض ، وفاكهة ذات ألوان ، ووجوه حسان . هي أعلى منتزهات الدنيا الأربع ، يطيب بها العيش لمن في ربوتها يرتفع ، ويسلك لكل روض فيها للقطف مهيع<sup>(٤)</sup> . فبرى أحسنَ مرأى ويسمعُ أشهى مسمع .

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ ومقيل<sup>(٥)</sup> عند ذلك يتفرغ باله ، وتنفسح آماله ، ويطيبُ باجتلاء التهانى ، واقتبال الأمانى بكوره وآصاله ، وتترامى له تلك القصور ، التى عليها الحسن مقصور ، والمنازلُ الفسيحة ، والمنازهُ المليحة ، والأراضى السندسية ، والمناهلُ الفضية ، والرياضُ المونقة<sup>(٦)</sup> ، والجنانُ المخذقة ، والثمارُ الباسقة ، والأزهارُ المتناسقة ، والغدرانُ المتدفقة ، والوجوهُ المشرقة .

تلك المنازل والمالآ عبُ لا أراها الله محلاً<sup>(٧)</sup>

(١) غرة الشيء جبهته وأشرف شيء فيه .

(٢) المرتاد . الشخص الذى يرتاد البلاد ويحورها .

(٣) الجنة بضم الجيم --- الوقاية .

(٤) المهيع الطريق والدرب الذى يسير فيه المرء .

(٥) المقيل اسم مكان من قال بالمكان أى نام فيه بائقائلة أى منتصف النهار .

(٦) المونقة : المحبة . وهى اسم فاعل من الفعل : آقق بمعنى أعجب .

(٧) المحل يسكون الحاء هو جادب الأرض ، وهنا يدعو لها الشاعر بالخصب .



حيثُ التفتُ وجدتُ ما ٤ صباحاً ، وسكنتَ ظلاً

فالتردد في تلك السُّوح <sup>(١)</sup> ، التي نسيماها بعطر شذاها <sup>(٢)</sup> ، يفوح ، يطيبُ صَبَّوحه وغبوقه <sup>(٣)</sup> ، ويُحمدُ غروبه وشرقه <sup>(٤)</sup> ، ويرى عنوان الجنان ، في هذا المكان ، من حورٍ وولدان <sup>(٥)</sup> ، وجواهرٍ وعقيان <sup>(٦)</sup> ، وأوقات كلها أسحار <sup>(٧)</sup> ، وجنات تجري من تحتها الأنهار .

### متنزهات القسطنطينية

وحين حل الشيخ حسن العطار ببلاد الروم — تركيا — نزل بعاصمتها القسطنطينية ، فأعجبته متنزهاتها وخلجانها وقصورها ومعاهدها ، فكتب هذه الرسالة يصفها :

كتب إلى السيد الجليل أدام الله إشرافه ، وعطر بالثناء أخلاقه ، وأنا بالمطرف الذي هو في عقد محاسن الدنيا الواسطة ، ومفاخره في سماء المعالي متصاعدة لا هابطة . ونعم هو منزلاً في مطالع السرور على ، وقدره في المتنزهات غالى ، وبدر إشرافه بالسعود متلالى ، وبه الغريب لأوطانه سالى <sup>(٧)</sup> . وقد أطل على الخليج القسطنطيني المحتف بعرائس القصور ، والرياض المعطرة بروائح الزهور ، وملاعب الولدان والخور ، ومجتنى ضروب اللذات والسرور ، والساحب أذبال

(١) السوح جمع ساحة وهي المكان الواسع .

(٢) الشلى الريح الطيب وأرج العطار .

(٣) الصبوح كل ما يؤكل أو يشرب صباحاً ، والغبوق بفتح الغين ما يؤكل أو يشرب على

المساء أو في العشي .

(٤) الحور جمع حوراء وهي الفتاة الحسنة أو التي اشتد سواد عينيها وبياضهما .

(٥) العقيان بكسر العين : الذهب الخالص .

(٦) أسحار جمع سحر يفتحان وهو ما قبل طلوع الفجر .

(٧) سلا الرجل أوطانه أى تسلى على بعدها بالصبر عنها .

الحبر والجبور<sup>(١)</sup> ، حيثُ الفلكُ بيدورُ الحسنُ في ذلك الخليجِ ساجحةً ، غاديةٌ  
في ضروبِ المسراتِ رائحةً ، والزوارقُ على وجهِ الماءِ ، تنسابُ كالحيةِ الرقطاء<sup>(٢)</sup> ،  
تتلاعبُ بها أمواجهُ ، ويزيدُ بها الناظرُ سرورهَ وابتهاجهُ . وقد طلعَ بها شمسٌ  
وبدورُ ، وأرُبتُ على الأفلاكِ<sup>(٣)</sup> حيثُ في كلِّ فلكٍ كوكبٌ ، وهذه على علةِ  
كواكبِ تدورُ . وقد أحاطَ بذلك الخليجُ تلكَ المنتزهاتِ<sup>(٤)</sup> ، والمعاهدُ العامرةُ  
باللذاتِ ، والبدورُ التي هي عن الحسنِ مسفرةٌ ، والوجوهُ التي هي بالنعيمِ  
مستبشرةٌ .

يُطلُّ من كلِّ دارٍ حوله قمرٌ      وليس في الأفقِ يا هذا سوى قمرِ  
والماءُ مثلُ السما لوناً وباطنه      يشف عن نيراتِ الأنجمِ الزهرِ  
والشط يرقلُّ في ملابسِ سندسياتٍ ، ويهدى إلينا نوافحَ مسكِ عاطراتٍ ،  
ويزهو من بهجته بأحسنِ منظرٍ ، ويتيهُ بجلبابِ من السندسِ الأخضرِ .  
والأنهارُ تتخللهُ ، والأشجارُ تظللُهُ .

سَقياً لها سِن بطاحِ خِر<sup>(٥)</sup>      ودوح روضِ بها مُطلٌ  
فما ترى غيرَ وجهِ شمسٍ      يلوح فيها عذارِ ظل<sup>(٥)</sup>

والنسيمُ بقاماتِ الغصونِ يعرِّدُ ، ولصفحةِ وجهِ النهرِ يجعلُ ، وقيانُ<sup>(٦)</sup> الطيورِ  
على منابرِ الدوحِ تغردُ ، والنديمُ يشدو ويُنشدُ . . .

(١) الحبر بكسر الحاء وفتح الباء جمع حبرة وهي نوع من الثياب التي كانت تصنع باليمن .  
والجبور السورور .

(٢) الحية الرقطاء هي السوداء المشوية بنقط بيضاء .

(٣) يستعمل العطار كلمة منزه بتقديم النون على التاء ، والأصح منزه بتقديم التاء على النون ،  
وهو المكان الذي ينزه فيه الإنسان .

(٤) الخِر الحرير ، وقد شبه بقاع الأرض بالخِر الناعم .

(٥) العذار الخلد ، أو جانب الوجه ، وشبه الظل بالتمتع بالتأني في العذار .

(٦) القيان الطيور المغنية . وأصل القينة في اللغة : الحارية أو المغنية .

## فى الشوق إلى صديق

كتب حسن العطار هذه الرسالة فى الشوق إلى أحد الإخوان . وهى نموذج من رسائله الإخوانية :

العهد يا سيدى بعيد ، والشوقُ شديد ، وسبلى إلى زيارتك غير مُستَسَمِّلة ، وعادةُ تفضُّلك فى المراجعة متعطِّلة ، وأنت على صلتى بعائد<sup>(١)</sup> موصولك أقدر ، وأحق برعايتى وأجدر . ولم أقل هذا شكوى لك بل شكوى إليك . وكيف أشكو من لا أدخله من مبرة أشكرها<sup>(٢)</sup> ، ومئة أنحملها ، ويد أحفظها وأعتد بها . وبالله لو تلاقى منا على المداومة ، وتلاقينا على المواظبة . لما نفع ذلك<sup>(٣)</sup> غلة ظمأى إليك ، ولا عدمتُ نزوات<sup>(٤)</sup> الحنين عليك . فكيف<sup>(٥)</sup> والشقة بيننا معترضة ، والأعمار دون اجتماع الشمل منقرضة ؟ والله يطيل مدة عمرك ، ويمد أيام عزك ، ويقرب دارك ، ويُدنى مزارك ، ويحرسُ النعمة عندك ، ويُديمُ سعدك ، ويربى لياك على ما أحبه لك وتحبه لى ، من سكون الجاش<sup>(٦)</sup> ، ورغد المعاش ، وصلاح الحال ، ورفاه البال بقدرته آمين .

(١) لاحظ هنا استعمال العطار لمصطلحات العلوم فى نثره . فالصلة ، والعائد ، والموصول هى من مصطلحات علم النحو كما لا يخفى .

(٢) المنة : المعروف أو الصنيعة .

(٣) نفع - بالقاف - الماء غلة العطشان أى سقى ظمأه .

(٤) النزوات : جمع نزوة وهى الصولة ، والوثبة .

(٥) الشقة : بضم القاف المسافة .

(٦) الجاش : النفس أو القلب أو الصدر . وأصلها الجاش بالهمزة ، ولكنه سهلها إلى ألف

مراجعة للسجدة فى كلمة : المعاش . ويقال : فلان ساكن الجاش أى هادئ النفس لا يضطرب .

## أمل في اللقاء

وكتب رسالة أخرى إلى صاحب يأمل في لقائه ، بعد افتراق :

أخي الذى انتثر عقد نظائى معه ، وصاح غراب البين<sup>(١)</sup> على مجمع شملنا فصدعه . قد كنت أظن أن الأيام لا تزال لنا باسمه ، ورياح المسرات بنادى جمعنا ناسمة ، فإذا أنا مكلف الأيام ضد طباعها . ومتشبت منها بخلاف أوضاعها . ومع ذلك فأنا لا آيسُ من اجتماع بعد فرقة ، ومسرة تحصلُ وإن طالت المشقة ، وبعدت الشقة ، وتأججت الحرقه .

وقد يجمع الله الشيتيين<sup>(٢)</sup> بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فالحمد لله على آلائه ، والشكرُ له على قضائه ، وعسى تعودُ هذه الأيامُ التى جرت إليها سوابقُ الأمانى مُطلقات الأعنة<sup>(٣)</sup> ، وأبرزت الأقدارُ فيها من الآمال ما كان ساكناً كالأجنة . حقق الله ذلك المرجو والمأمول ، وأذعم بذلك المتمنى والمستول . ونسأل الله تعالى أن تكون شمسها دائماً مشرقة الأنوار ، وأن تكون هذه الحملة للدوام والاستمرار .

( ١ ) البين الفراق ، وصاح غراب البين بين القوم ، كناية عن تفرقهم ، فقد كان العرب يعتقدون أن صبيحة الغراب نذير بالافتراق . وفى هذا يقول الشاعر النابغة الجاهلي :

زعم العواذل أن رحلتنا غداً وبذلك تنعاب الغراب الأسود

( ٢ ) مكلف الأيام ضد طباعها ، أى مكلفها ما ليس من طباعها من الغدر والتقلب بأحوال الناس ، وفى هذا يقول الشاعر :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

( ٣ ) الشيتيين : مثنى شيت وهو البعيد المتفرق .

( ٤ ) الأعنة جمع عنان وهو لحام الفرس ، ومطلقات الأعنة أى أحرار منطلقات بلا قيد .

## ترجمة الألفية إلى التركية

ألفية ابن مالك في النحو مشهورة ، وقد ترجمها إلى اللغة التركية في عصر حسن العطار أديب كاتب تركي اسمه خيرت أفندي . فكتب العطار هذا التقریظ التالي لها :

أهذه حديقة زهر ، أم قلادة<sup>(١)</sup> نحر ، أم سماءُ فضلُ أزهرتُ بها نجومُ التحقيق ، وأشرق شمسُ التدقيق . استنار بها مبهم السالك ، في أحسن المسالك ، إلى ألفية ابن مالك . فبرزتُ بها تلك الخريدة<sup>(٢)</sup> العربية في ملابس الروم<sup>(٣)</sup> ، وُجلبتُ تلك العروسُ على منصتها لكل خاطب لها يروم<sup>(٤)</sup> . أبدعَ ناظمُها وأحسن ، وأحكم وأتقن . كيف لا وهو دوحهُ فضل أينعتُ بالزهر ، وتقلدتُ أغصانها من سحب العرفان بقلائد الدرر . ربُّ فصاحة وبراعة ، وقريحة لنظم القريض سلسلة مطواعة . وهو في الألسن الثلاث سباق غايات ، وصاحبُ آيات بينات ، ودراية راسخة ، آيةُ فضلها لما تقدمها ناسخة . كاتب نحاس . ببراعة تستتبع المطالب ، وتستمطرُ الرغائب ، وتخلد للأول مآثر ، وتنظم في جيد الزمان قلائد جواهر ، فعمانيه قرة عقل تأرج<sup>(٥)</sup> زهرها ، وسماءُ فضلُ أشرق بدرها . نظم بها في جيد البلاغة عقودا ، ووشى من الطروس برودا<sup>(٦)</sup> ، فهو حسنة الدهر ، وزينة العصر ، تتجمل به الأيام ، وتفتخر به

(١) القلادة : ما يحيط بالعنق من عقد وغيره ، والنحر : أعلى الصدر .

(٢) الخريدة : هي الفتاة البكر الحسنة التي يحملها الحياه .

(٣) برزت الألفية في ملابس الروم أي ترجمت إلى التركية فظهرت في ثوب تركي . والروم هم الأتراك كما كانوا يسمون في كتب التاريخ منذ ظهور دولتهم . وحسن العطار حين سافر إلى بلاد الروم أي إلى بلاد تركية .

(٤) يروم أي يريد ويقصد . ومنصة العروس هي الذكة المالية التي تنص عليها ليلة عرسها .

(٥) تأرج زهرها أي فاح أرجه وعطره .

(٦) الطروس جمع طرس وهو الصحيفة يكتب فيها ، والبرود - بضم الباء - جمع برد وهو نوع من الثياب المخططة .

الأنا م . وإن أُجريت في ميدان الصحف سوابقُ الأقلام ، ونُشرت من مطويات محاسنه في أندية الثناء رايات وأعلام ، لمعترف بالقصور ، عن الخوض في هذه البحور ، فقصارى<sup>(١)</sup> المديح ، عجزُ الفصيح ، عن الوصول إلى هذا الفضاء الفسيح ، فانتقلُ من الثناء ، إلى الدعاء . حفظه الله ورعى . . .

### رد عقائد المبطلين

وكتب الشيخ حسن العطار تقريراً على كتاب ألفه شيخ الإسلام بتركيا : عطاء الله أفندي ، يرد به عقائد قوم مبطلين . ويقول العطار من تقريره :  
ما روضة كللت<sup>(٢)</sup> السحبُ ربّاهُ بآلئِ القطر ، وتوشحت<sup>(٣)</sup> أعطافُ قدود غصونها بقلائد الزهر ، وتأرجحت أرجاؤها بأريج ريحانها ، وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانها ، بأبهج منظرا ، وأورق أثرا من لطافة هذا التأليف ، الذي علا الاتِّفاقُ على بلوغه الغاية القصوى ، في تألف القلوب ، وأقرت العقولُ السليمة بأعجازه للنظراء فإنه منحةٌ علام الغيوب ، ومدت إليه البلغاء أعناقها مستسلمين لإعجاز بلاغته ، ثملين من حمّيا<sup>(٤)</sup> معانيه المشرقة في كؤوس فصاحتها . فالله هو من جنة علم قطونها دانية ، لا تسمع فيها لآغية ، وبجرة فهم<sup>(٥)</sup> أضاءت فيها شمس التحقيق ، وأشرقت فيها كواكب التدقيق ، وحصن مشيد على الشريعة الغراء ، رُفِع على دعائم<sup>(٦)</sup> الأدلة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . . .

( ١ ) قصارى الشيء : غايته . وتقول : قصارى ملبى أى غاية ملهى ومنهاه .

( ٢ ) كللت السحب الرّبّ أى توجّتها وعقدت على رأسها إكليلا .

( ٣ ) توشحت أى اتخذت لها وشاحا ، وهو ما يوضع بين العاتق والكشحين . وقد كانت المرأة العربية تضع لها وشاحا ترصعه بالجوهر لتزين به نفسها .

( ٤ ) الحميا سورة الحمر وتلده أثراها في النفس ، أو الحمر نفسها .

( ٥ ) الخجرة مجموعة من النجوم في السماء .

( ٦ ) الدعائم جمع دعامة وهى ما يقوم عليه الشيء ويستند إليه .

### من إجازة علمية للشيخ حسن البيطار

وكتب العطار إجازة لتلميذه الشيخ حسن البيطار الدمشقي ، حينما كان صاحبنا نازلاً بالشام بعد رحلة إلى تركيا وألبانيا ، يقول فيها بعد ديباجة مناسبة :  
 أما بعد . فإن الشاب الفاضل ، والأديب العالم العامل ، الشيخ حسن<sup>(١)</sup> ابن الشيخ إبراهيم البيطار ، قد حضر عندي حينما حضرت إلى الشام ، جميع دروسى التى قرأتها على التمام ، حضور تدقيق ودراية ، غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الأحاديث الشريفة على طريق الرواية . ثم استجازنى بما تجوز لى روايته ، وتسند إلى عن شيوخى الأعظم درايته . فتضمنت قدر الإمكان ، واعترفت بأنى لست من أهل هذا الشأن . وعندما ألح على استخرت الله وأجزته ، وبمطلوبه ومرغوبه أسعفته ، بما تجوز لى روايته ، وتنسب إلى درايته ، عن أشياخى<sup>(٢)</sup> الذين اقتبست أنوارهم ، واغتنمت أسرارهم ، فهمم والله الحمد عدد كثير ، كل له قدر خطير . فمنهم العلامة الشيخ محمد الصبان ، والفهامة الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن المغربى ، والشيخ أحمد السجاعى ، والشيخ أحمد العروسى ، والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ محمد الشنوفى ، والشيخ عبد الله سويدان ، وغير هؤلاء من السادة الشافعية . وأما من السادة المالكية ، فالإمام الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عرفة الدسوقي ، والشيخ أحمد برغوث ، والشيخ الببلى وغيرهم .

وقد يسر الله لى حين سياحتى فى الديار الرومية<sup>(٣)</sup> والشامية والحجازية ،

( ١ ) الشيخ حسن البيطار من علماء الشام فى عصر العطار ، وهو والد المرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار الذى كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق - مجمع اللغة العربية الآن - ومؤلف كتاب « حلية البشر » الذى ترجم فيه لأعيان القرن الثالث عشر .

( ٢ ) الأشياخ : جمع شيخ ، كالشيوخ .

( ٣ ) الديار الرومية ، هى بلاد تركية ، كما سبق القول فى هامش آخر .

فرايت جهابذة فضلاء ، وأساتذة نبلاء ، قد تسنموا<sup>(١)</sup> غارب الفضل ، واجتنوا ثمار العقل ، فأخذتُ عنهم بعضاً من العلوم ، وريحتُ تجارتي بما استفدتُ من دقائق المنطوق والمفهوم . وكذلك قد أجزتُهُ بمالي من التأليف ، التي انتهزتُ فيها من الدهر فرصةً بعد طول تسويف . فهي جملةٌ من الرسائل والخواشي والشروح ، التي لا تخلو— إذا نُظرتُ بعين الانتقاد — عن مطاعن<sup>(٢)</sup> وجروح ، فليست مما يستحق أن ينشد في المجالس والمحافل ، ويُذكر في مجالس الأفاضل ، ولكن سأذكر بعضها إزاحةً لعله التشوُّف<sup>(٣)</sup> ، وتبريداً لغليل التطلّع والتلهُّف...

#### هـ — كتابة الشروط والصكوك :

### علم الوثائق عند حسن العطار

جعل العطار في كتابه « الإنشاء » قسمًا خاصًا بكتابة الشروط والوثائق ، وما يجب فيها من الاحتياجات ، وما يشترط لها من الآلات . وهو يحدثنا في السطور التالية عن كتابة الشروط والعقود :

هذا فنٌ مستقلٌ مغايرٌ لقن الإنشاء الذي هو القسم الأول . وقد أفرد العلماء كل قسم من هذين القسمين بالتأليف ، وأكثروا فيهما من التصانيف . وسمي هذا القسم بكتابة الشروط ، لأنه عبارة عن شروط مجتمعة في كل عقد من العقود الشرعية . ويسمى « علم الوثائق » أيضاً ؛ لأن وثوق الشهود وأرباب الحقوق بالصكوك . وهذا القسم نفعه غير منكور ، وفضله مشهور . لأن به تُصانُ حقوقُ الوري<sup>(٤)</sup> عن النسيان ، وتحفظ من الجحود والإنكار . ففائدته حفظُ الأموال من الجانبيين . لأن صاحب الحق إذا علم أن حقه قيد بالكتابة

( ١ ) تسنموا غارب الشيء أي صدروا قمته . وأصل الغارب : كاهل القوس ، وأعل كل شيء .

( ٢ ) يبدو هنا تواضع حسن العطار الذي جعل مؤلفاته غير خالية من العلن .

( ٣ ) التشوُّف التطلع إلى الشيء والإشراف بالنظر إليه .

( ٤ ) الوري : الناس .



احترز عن طلب الزيادة في حقه ، وعن تقديم المطالبة قبل حلول الأجل . ثم إن من الوثائق ما يكتبُ بين يدي القضاة ، ومنها ما يكتبه الناس بين يدي محكمهم ، أو بما يقع به التراضي بينهم في المبيعات والإجازات وغيرها من العقود . والغرض الذي نحن بصدده ذكرُ بعض صورٍ مما هو المتعارفُ الآن بين الناس في كتابة المعاملات ، ويُقاسُ عليها غيرها ، لأن الحوادث التي تحتاج للكتابة لا تنهاى ، ولكن إذا عملت الأصولُ سهلَ معرفة الفروع . وينبغي أن تكون الكتابة على ورق أبيض قوى ، يبقى أزمنةً بحيثُ لا يفتتت ولا يتمزق ، وتكونُ الكتابة بمداد أسود لا ينتشر ولا يمحى . ويُراعى في الكتابة نسقُ الأسطر في طول المكتوب وعرضه ، بحيثُ إذا زيدَ حرفٌ بين حرفين أو ألحقت كلمة بأحد جانبي السطر ظهر ذلك ولم يخف . وتُميّزُ الأحرفُ المتشابهة بعضها عن بعض بعلامات مميزة دالة على المراد بها كالحاء والحاء والجيم والراء والزاي والنون وما أشبه ذلك . فأن سبق قلمه إلى غلط كسطه وأصلحه . ويكتب في آخر الكتاب قبل ذكر التاريخ أن الكشط والإصلاح في السطر الفلاني في اللفظ الفلاني صحيحٌ من الأصل . ويكتبُ اسم كل من المتعاقدين ونسبهما وقبيلتهما ، وألقابهما وصفتهما . وأقل ما يكتبُ في النسبة ثلاثة ، فإنه قد يقع الاشتباه في النسب . وإن كان فيهما من غلبت كنيتهُ على اسمه كتب كنيتهُ . ويجوهُلُ النسب والبلاد يذكر حليته المختصة به التي يتميز بها عن غيره .

وليكتبُ قدرَ المبيع <sup>(١)</sup> وصفتهُ ، فإن كان عقاراً عرّفه بالتحديد بالجهات ، أو حيواناً فبالنوع <sup>(٢)</sup> . ويكتبُ الثمنَ قدرَ رأ ، ونوعاً ، وصفة ، ووزناً ، حالاً أو مؤجلاً . ويكتبُ صفة العقد والعاقدين اثنين أو أكثر .

(١) المبيع : الشيء الذي يباع . وهو اسم مفعول من الفعل : باع . ومن الخطأ الشائع اليوم

قولهم : شيء يباع .

(٢) النوع : جمع نعت وهو الوصف .

## شرح التهذيب في المنطق

أكثر العطار من حواشيه وشروحه على الكتب القديمة في مختلف العلوم. وهنا المقدمة التي كتبها لحاشيته على كتاب «شرح التهذيب» للعلامة الخبيصي في المنطق :

تهذيبُ المنطق والكلام افتتاحه بالحمد ، وتوشيحُه بالشكر الذي به النعم تمتد . فالحمد لله فاتحةُ كل كتاب ، وخاتمةُ كل دعاء مُجَاب . فَلَلهُ الحمدُ في الأُولَى والآخرة وله الحكم <sup>(١)</sup> ، والمطالبُ لسواه إذا رُفِعَتْ فهي عُمَمٌ . والفضلةُ على رسوله الأعظم ، ونبيه الأكرم هي العروة الوثقى للمستمسكين ، والوسيلةُ العظمى للمتوسلين . فعليه من الله أَفْضَلُ صلاةٍ وأزكى سلام ، يتواليان عليه وعلى آله الفخام ، وصحبه الكرام . وبعد : فيقول الفقيرُ أبو السعادات حسن ابن محمد العطار ، غفر الله ذنوبه ، وسر في الدارين عيوبه : إن « شرح التهذيب » للعلامة الخبيصي <sup>(٢)</sup> ، مع وجازة ألفاظه ، وسلامة معانيه ، محتاج إلى تنعيم بعض مباحث ، وكشف غوامض لمن يعانیه . وقد وَضَعَ العلامةُ الشيخ (يس) عليه حاشية ضم فيها من كَلِمِ القومِ أطرافاً ، وأسعف طالبيه بها إسعافاً . بيدَ أنه امتد إليها من أَيْدِي النقلة التخريف ، وشوَّهوا محاسنها بكثرة التصحيف ، هذا مع نقله كلامَ الغير بدون عزْو <sup>(٣)</sup> ، ووقوعه بمقتضى الطبع البشري في السهو . وتلاه العلامة ابن سعيد المغربي ، فشغف بالاعتراض عليه ، وولع بتعقيبه في كل ما عَوَّلَ عليه . وقد أُلْحَاهُ ذلك إلى الاعتساف <sup>(٤)</sup> ، وتجاوز

(١) المطالب : جمع مطلب وهو ما يطلبه الإنسان من حاجات العيش . وإذا رفعت المطالب إلى غير الله فإنها عقيمة غير مجدية .

(٢) الخبيصي : عالم من رجال القرن الثامن الهجري اشتهر بالمنطق والنحو . وهو الوحيد في أعلام الأمة العربية الذي يحمل هذا اللقب الغريب - توفي سنة ٧٣١ هـ . (٣) العزو : النسبة .

(٤) الاعتساف : هو الجور وركوب الأمر بلا تدبير ولا روية .

الإنصاف . ووقع في أوهام وأغاليط تعكر الأفهام . وقد قيل فيما سبق من الأمثال ، التي تناقلها الرجاك : **قَالَ إِنْ سَكِمَ مِكَثَارٌ<sup>(١)</sup> ، أَوْ أُقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .** وكثيراً ما ينقل عبارة غيره موهماً أنها مما له سَنَج ، عندما أَوْرى زناد فكره وقدح . وربما أطنأ في بعض المواضع ذيل الكلام ، مع عِدم ملاءمته الحال واقتضاء المقام . فتوعرت<sup>(٢)</sup> بما ارتكباه للطالب المسالك ، وتعمرت عليه المذارك . وصار الكتاب بسبب ذلك لغيرهما محتاجاً ، ومفتقراً لمن يسلك سبيل العدالة منهاجاً . فوضعت هذه الحاشية إسعافاً للطالبين ، وإشفاقاً على المشتغلين ، متجنباً طرقي التفريط والإفراط ، ناظماً ما التقطته من جواهر النقول في أسماط<sup>(٣)</sup> ، ملخصاً من الحاشيتين ما صفا ، موضحاً ما تركاه مستوراً بديل الحفا . وما نقلاه عن الغير فإليه أرجع ، ومنه أستمد وأتبع ، منهاً بعزوه إلى قائله على أنها منه أخذه ، وأبهما طريق معزاه<sup>(٤)</sup> . وربما حذفاً من الكلام ما تتم به فائدته ، وتعظم عائده . فأذكره تميماً للكلام ، وتوضيحاً للمقام ، معولاً في النقول ، على ما هو مقبول ، عند علماء المعقول . هذا مع اعترافي بفضل سببتهما ، ويعمد شأوهما ، مع قصوري عن الجري معهما في ميدان ، وعجزى عن مزاحمتها في هذا الشأن . . .

( ١ ) المكنار ؛ هو من يكثر من الشيء أو الكلام وهي صيغة مبالغة .

( ٢ ) توعرت المسالك : صارت وعرة صعبة .

( ٣ ) الأسماط : جمع سبط وهو السلك أو الخيط الذي تنظم فيه الآلى والجزز .

( ٤ ) طريق معزاه — بالعين المهملة — أى طريق نسبه إلى صاحبه وعزوه إليه .

## مقدمة العطار على حاشية الأزهرية

شرح الشيخ خالد على الأزهرية في علم النحو مشهور وخاصة لطلاب الأزهر والدراسات النحوية . وقد صنع العطار عليه حاشية معروفة ، وكتب لها المقدمة التالية وفيها شيء من سيرته ورحلته :

أما بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ، فيقول الفقير حسن بن محمد العطار الشافعي المصري الأزهرى ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه : هذه حواشٍ كنتُ جمعتها على شرح الأزهرية في علم النحو ، وقت قراءتي لذلك الكتاب بالجامع الأزهر لبعض الطلبة ، ثم شرعتُ في نقلها من المسودة ، فدهم مصر ما دهمها من حادثة الكفرة الفرنسيين<sup>(١)</sup> ، فخرجتُ فاراً من مصر إلى البلاد الرومية ، مستصحباً للمسودة وغيرها من بعض كتبي . فأقمتُ بالبلاد الرومية مدةً طويلةً ، ثم توجهت إلى دمشق الشام ، فصادف دخولي فيها<sup>(٢)</sup> زوال يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، فالتسمتُ ببعض إخواني من أهل العلم بتلك البلدة ، قراءة الكتاب . فشرعتُ في نقل هذه الحاشية وكتابتها ، رجاء أن ينفع بها إخواننا طلبة العلم فأفوز بدعوة أخ صالح ينظر فيها .

وأسأل الله أن ينفع بها ، ويحتم لي بالإيمان ، ويغفر لي الخطايا بمنه وكرمه . وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) يقصد العطار حادث الحملة الفرنسية على مصر ، وقد شهدته واتصل ببعض رجال الحملة ، كما اتصل بهم بعض علماء ذلك العصر ومنهم الجبرتي المؤرخ .  
(٢) الزوال هو وقت الظهر .

## المراجع والمصادر

مرتبة وفق حروف الهجاء

- الآثار الفكرية : أمين فكرى - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣١٥ هـ
- الآداب العربية فى القرن التاسع عشر : الأب لويس شيخو اليسوعى .  
بيروت سنة ١٩٢٤
- أدب المقالة الصحفية : د . عبد اللطيف حمزة - دار الفكر العربى - القاهرة  
سنة ١٩٥٠
- الأزهر : محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ
- الأزهر : د . عبد الحميد يونس ، عثمان توفيق - القاهرة سنة ١٩٤٦
- الأزهر بين الماضى والحاضر : منصور على رجب - القاهرة سنة ١٩٤٦
- أعيان البيان : حسن السندوبى - القاهرة سنة ١٩١٤
- أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث : أحمد تيمور - القاهرة سنة ١٩٦٧
- الإنشاء : حسن العطار - القاهرة سنة ١٩٣٦
- بناء دولة : د . محمد فؤاد شكرى وزملائه - دار الفكر العربى - القاهرة  
سنة ١٩٤٨
- تاريخ آداب اللغة العربية : جرجى زيدان - دار الهلال - القاهرة سنة ١٩٦٠
- تاريخ الأستاذ الإمام : السيد محمد رشيد رضا - مطبعة المنار - القاهرة سنة ١٩٣١
- تاريخ الإصلاح فى الأزهر : عبد المتعال الصعيدى . القاهرة سنة ١٩٥٨
- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على : د . جمال الدين الشيال -  
دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٥١
- تاريخ الحركة القومية : عبد الرحمن الرافعى . القاهرة سنة ١٩٢٩
- تاريخ الصحافة العربية : فيليب دى طرازى - المطبعة الأدبية - بيروت  
سنة ١٩١٣

تاريخ الوقائع المصرية : إبراهيم عبده — مكتبة الآداب — القاهرة سنة ١٩٤٦  
 التوفيقات الإلهامية : اللواء محمد مختار — بولاق — القاهرة سنة ١٣١١ هـ  
 حاشية العطار على جمع الجوامع — المطبعة العلمية — القاهرة سنة ١٣١٦ هـ  
 حاشية العطار على شرح الأزهرية — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة  
 حاشية العطار على شرح الخبيصى — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة  
 سنة ١٩٦٠

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : عبد الرحمن السيوطى — مطبعة الوطن —  
 القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ

حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر : عبد الرزاق البيطار — دمشق  
 سنة ١٩٦١

حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى : كراشكوفسكى ، ترجمة كلثوم عودة ،  
 تحقيق وتعليق محمد عبد الغنى حسن — المجلس الأعلى لرعاية الفنون  
 والآداب — القاهرة سنة ١٩٦٤

الخطط التوفيقية : على مبارك — مطبعة بولاق — القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ  
 دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة اللجنة  
 دراسات فى الأدب العربى والتاريخ : محمد عبد الغنى حسن — الدار القومية —  
 القاهرة سنة ١٩٦٧

ديوان إسماعيل الخشاب — مطبعة الجوائب — القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ  
 » الإشعار بحميد الأشعار : السيد على الدرويش — مصر سنة ١٢٧٠ هـ  
 » سجع الحمامة : بطرس كرامة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٨٩٨  
 » محمد شهاب الدين — القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ

رفاعة الطهطاوى : د . حسين فوزى النجار — سلسلة أعلام العرب رقم ٥٣ —  
 القاهرة

روضة المدارس : مجلة رأس تحريرها الشيخ رفاعه الطهطاوى — القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ  
 الشيخ الحسين بن أحمد المرصنى : محمد عبد الجواد — دار المعارف بمصر  
 سنة ١٩٥٢

عبد الرحمن الجبرئى : خليل شيبوب — سلسلة اقرأ ، عدد رقم ٧٠ — القاهرة  
 سنة ١٩٤٨

عجائب الآثار ، التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرئى — مطبعة بولاق —  
 القاهرة ١٢٩٧ هـ

عجائب الآثار . فى التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرئى — طبعة لجنة البيان  
 العربى — القاهرة سنة ١٩٦٤

عصر محمد على : عبد الرحمن الرافعى — القاهرة سنة ١٩٣٠

فهرس الخزانة التيمورية : دار الكتب المصرية — القاهرة سنة ١٩٤٨

فى الأدب الحديث : عمر الدسوقى — القاهرة سنة ١٩٦٤

لحة فى تاريخ الأزهر : د . على عبد الواحد وافى — القاهرة سنة ١٩٣٦

مصر فى القرن الثامن عشر : محمود الشرقاوى — القاهرة سنة ١٩٥٥

مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيين : عبد الرحمن الجبرئى — دار المعارف —  
 القاهرة

المفصل فى تاريخ الأدب العربى : أحمد الإسكندرى وزملاؤه — القاهرة  
 سنة ١٩٣٦

المقرى صاحب نفح الطيب : محمد عبد الغنى حسن — الدار المصرية للتأليف  
 والترجمة — سلسلة أعلام العرب — القاهرة سنة ١٩٦٦

المنتخب من أدب العرب : د . طه حسين وزملاؤه — القاهرة سنة ١٩٣٦  
 نشأة النثر الحديث : عمر الدسوقى — القاهرة

## القهرس

### الفصل الأول

#### عصر حسن العطار

صفحة

٥	( أ ) الحياة السياسية
٩	( ب ) الحالة الاجتماعية
١٥	( ح ) الحياة العقلية

### الفصل الثاني

#### حسن العطار في عصره

٢٠	١ — موجز حياة
٢٣	٢ — شيوخ وأساتذة
٢٥	٣ — تلاميذ نجباء
٢٨	٤ — بين التدريس والمشيخة
٣١	٥ — بين العطار والشاعر بطرس كرامة
٣٤	٦ — التحرير في الوقائع المصرية
٣٦	٧ — بين العطار والجبتي المؤرخ
٣٩	٨ — الحكيم الذي ترضى حكومته
٤١	٩ — قارئ الكتب الراضى
٤٣	١٠ — ثنائى مرح ، وثلاثى متلازم
٤٦	١١ — وصاف الأوبئة



- ١٢ — العطار بين مادحيه وراثيه . . . . . ٥١
- ١٣ — العطار في تقدير الرجال . . . . . ٥٣

### الفصل الثالث

#### جوانب حسن العطار

- ١ — حسن العطار الشاعر . . . . . ٥٨
- ٢ — حسن العطار الناثر . . . . . ٦٥
- ٣ — الفلكيات وعالم الفلك . . . . . ٦٨
- ٤ — الاهتمام بالدراسات الأدبية . . . . . ٧٠
- ٥ — المنبه لحركة الإصلاح الحديث . . . . . ٧٣
- ٦ — منهج في التأليف . . . . . ٧٧
- ٧ — الإجازات العلمية وتقاريط الكتب . . . . . ٨١
- ٨ — آثار العطار ومؤلفاته . . . . . ٨٤

### الفصل الرابع

#### منتخبات من آثار حسن العطار

- ١ — حسن العطار الشاعر . . . . . ٨٨
- ( ١ ) الغزل . . . . . ٨٨
- رسالة عاشق لمعشوق . . . . . ٨٨
- إلى متى ؟ . . . . . ٨٩
- سلطان الهوى . . . . . ٩٠
- أنا راض . . . . . ٩١

صفحة	
٩١	ب - الوصف .
٩١	بركة الأربكية
٩٢	سقى لأسيوط
٩٣	عرائس دمشق
٩٤	(ج) الرثاء
٩٤	دمعة على عالم
٩٥	(د) الملدح
٩٥	بشارك بالمنصب
٩٧	(هـ) التهنئة
٩٧	فخر المرء بأفعاله
٩٨	(و) الهجاء
٩٨	ثلاثة في واحد
٩٨	جنود الحملة الفرنسية
٩٩	(ز) الموشحات
٩٩	قطاف الكروم
١٠٠	نسمة الشمال
١٠١	(ح) الشعر التعليمي
١٠١	علوم المريية
١٠١	أنواع المعارف
١٠٢	٢ - حسن العطار الناثر
١٠٢	(١) الوصف
١٠٢	وصف دمشق
١٠٣	متنزهات القسطنطينية





١٩٩٣ / ٩٣٨٩	رقم الإيداع
ISBN 977-82-4271-3	الترقيم الدولي

١ / ٩٢ / ١٦٠  
 طبع مطبع دار المعارف (ج.م.ع.)





## مجموعة نوايغ الفكر العربي

مجموعة جديدة جامعة تقدم نوايغ الفكر العربي في جميع العصور ، كما يصورهم ويترجمهم نوايغ الفكر العربي في العصر الحاضر من كل قطر وبلد ؛ فهي تعني بالشعراء والكتاب كما تعني بالفلاسفة والحكماء ، وتتناول أعلام اللغة كما تتناول أعلام التاريخ . وقد رأت دار المعارف أن تعهد في كل بحث من هذه البحوث إلى المختصين وذوى الخبرة والدراية فيه ؛ فيجولوا فيه ويتبعوه بباب واف للمختار من روائع المترجم له مفسر المعاني مبين الأغراض .

### ● ظهر منها :

- |                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| ١ - ابن رشد .                | ٢٢ - ابن سينا .                |
| ٢ - الجاحظ .                 | ٢٣ - عبد الرحمن الكواكبي .     |
| ٣ - الشيخ نجيب الحداد .      | ٢٤ - رفاعة رافع الطهطاري .     |
| ٤ - محمود سامي البارودي .    | ٢٥ - خليل مطران .              |
| ٥ - ابن زيدون .              | ٢٦ - ولي الدين يكن .           |
| ٦ - الشيخ ناصيف اليازجي .    | ٢٧ - صفي الدين الخلي .         |
| ٧ - إخوان الصفا .            | ٢٨ - البهاء زهير .             |
| ٨ - بشار بن برد .            | ٢٩ - جمال الدين الأفغاني .     |
| ٩ - بديع الزمان الهمداني .   | ٣٠ - تقى الدين بن حجة الحموى . |
| ١٠ - أبو الفرج الأصبهاني .   | ٣١ - القاراني .                |
| ١١ - ابن الرومي .            | ٣٢ - ابن رشيق القيرواني .      |
| ١٢ - الفرزدق .               | ٣٣ - القاضي الجرجاني .         |
| ١٣ - السهروردي .             | ٣٤ - حسان بن ثابت .            |
| ١٤ - الشيخ إبراهيم اليازجي . | ٣٥ - قاسم أمين .               |
| ١٥ - المتنبي .               | ٣٦ - ضياء الدين بن الأثير .    |
| ١٦ - البحترى .               | ٣٧ - يعقوب صروف .              |
| ١٧ - الخنساء .               | ٣٨ - المسعودي .                |
| ١٨ - ابن قتيبة .             | ٣٩ - أمين الريحاني .           |
| ١٩ - جرير .                  | ٤٠ - حسن العطار .              |
| ٢٠ - ابن المقفع .            | ٤١ - الشريف الرضي .            |
| ٢١ - أبو حيان التوحيدي .     |                                |